جامعة الأزهر
حولية كلية اللغة العربية
بنين بجرجا

يونس بن حبيب
وجهوده النحوية والصرفية

الدكتورة
سلوى عبد الفتاح حسن بدوى
المدرس بقسم اللغويات
بكلية الدراسات الإسلامية والعربية
للبنات بالمنصورة

العدد السادس عشر
للعام ١٤٣٣هـ / ٢٠١٢م
الجزء الثاني

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية

٦٩٤٠/ ٢٠١٢م

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين وصلاة وسلامًا على رسوله الأمين المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد

فمن فضل الله تعالى أن جعل اللغة العربية هي لغة كتابه العزيز فقال تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾(١).

وسخر لهذه اللغة حذاقًا أنار بصائرهم وأصلح سرائرهم ووفقهم في أن يكونوا سببًا في حفظ هذه اللغة فتثبتوا بأنفسهم من سلامة ما يروون عن العرب فشافهوهم في أوديتهم وسمعوا منهم في أخبيتهم فقدموا للبشرية خدمة عظيمة في علوم العربية.

ويونس بن حبيب من هؤلاء الحذاق فهو شخصية نحوية متميزة ظهرت في القرن الثاني الهجري وجذبت إليها أنظار طلاب العلم بفضل نبوغها وتفوقها في مجال اللغة وفي مجالات متعددة.

فهو من أعلام البصرة وشيوخها، بل كان أحد علمين شغلا الناس في علم النحو.

ولم يكن من الهيِّن عليّ أن أتحدث عن حياته وجهوده النحوية والصرفية وأجمع منها قدرًا في بحث صغير كهذا البحث، فحياته طويلة حافلة خصبة، وعطاؤه متميز، وشخصيته جديرة بالبحث في جوانبها ومعرفة أسباب نبوغها.

وبعد طول صحبة لهذا الرجل في أقواله استخرت الله العلي القدير أن أسهم بقدر في إبراز جهوده في خدمة علم العربية وفاء وإجلالاً واعترافًا بالفضل لهذا العالم الجليل ولأمثاله الذين أفنوا حياتهم في سبيل خدمة لغة القرآن الكريم والحفاظ عليها ونقلها إلينا كما سمعوها من فصحاء العرب.

---

(١) سورة الزخرف آية ٣.

وسألت الله العون والتيسير في عمل هذا البحث.

ولقد أصاب "يونس بن حبيب" حظًا من الاهتمام والدراسة من الباحثين غيري، وبهدىّ من سبقوني اقتديت في هذه الدراسة فقد سبقني نفر من الباحثين منهم:

د. حسين نصار في كتابه يونس بن حبيب ضمن سلسلة أعلام العرب سنة ١٩٦٨م، ود. أحمد مكي الأنصاري في كتابه يونس البصري حياته وآثاره ومذاهبه سنة ١٩٧٣م، د. محمود حسني محمود في بحثه موقف من يونس بن حبيب الجامعة الأردنية موقع مجمع اللغة الأردني.

وقد ترجم له د/ شوقي ضيف ضمن كتابه المدارس النحوية ود/ علي النجدي ناصف ضمن كتابه سيبويه إمام النحاة.

هذا بالإضافة إلى الكتب التي تحدثت عن نشأة النحو عن الدراسات النحوية في البصرة.

وقد قرأت ما أتيح لي من هذه الدراسات وغيرها وأفدت منها خاصة في توضيح بعض ما نقله سيبويه عن شيخه يونس.

وأضفت إليها قدر استطاعتي، ولا أظنني أقول خيرًا مما قالوا إلا أنه كانت لي وقفة في إبراز دور الكتاب في إظهار جهود يونس النحوية والصرفية، كذلك كانت لي وقفة بينه وبين معاصره الخليل بن أحمد وبيان مدى اتفاقهما واختلافهما في المسائل النحوية والصرفية.

كذلك أشرت إلى براعته بين المفسرين وانفراده ببعض الآراء في توجيه القراءات القرآنية، هذا مع توثيق أقوال يونس من خلال كتاب سيبويه.

منهجي في البحث:

لقد سلكت في منهجي لهذا البحث مسلكا اتبعت فيه رسم صورة واضحة تبرز فيها معالم شخصية يونس بن حبيب وبيان جهوده النحوية والصرفية، وقسمته إلى مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة.

فالمقدمة: تحدثت فيها عن موضوع البحث ومنهجي فيه.

الفصل الأول: حياة يونس بن حبيب. تحدثت فيه عن النقاط التالية:

اسمه وكنيته ولقبه – مولده – وفاته – مذهبه النحـــوي وأخلاقـــه– شـــيوخه ومذهبه في الأخذ عنهم – تلاميذه – ثقافته– مؤلفاته.

الفصل الثـاني: جهود يونس النحوية والصرفية. تحدثت فيه عـــن النقـــاط التالية:

أولاً: دور الكتاب في إظهار جهود يونس النحوية والصرفية.

ثانيًا: يونس والخليل.

ثالثًا: آراؤه في تفسير القرآن الكريم وقراءاته.

رابعًا: آراؤه في اللغة.

الفصل الثالث: أثر يونس بن حبيب في المدرسة الكوفية وشيوخها.

الخاتمة. واشتملت على أهم النتائج التي حققها هذا البحث.

ثم ذكرت الفهارس واشتملت على:

١ – فهرس المراجع.

٢ – فهرس الموضوعات.

وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وهو رب العرش العظيم

الباحثة

الفصل الأول

حياة يونس بن حبيب

وفيه النقاط التالية:

- اسمه وكنيته ولقبه، مولده ووفاته.
- مذهبه النحوي وأخلاقه.
- شيوخه ومنهجه في الأخذ عنهم.
- تلاميذه – ثقافته – مؤلفاته.

يتناول هذا الفصل بمشيئة الله تعالى – ترجمة لهذا العالم ينال فيها حظًا من التعريف الذي هو أغنى الناس عنه.

اسمه وكنيته ولقبه:

هو يونس بن حبيب[١] أبوعبدالرحمن النحوي البصري ويكاد أغلب الذين ترجموا له أن يتفقوا على أنه واحد من الموالي العرب ولكنهم اختلفوا فيمن كان مولاه فقيل: هو مولى بني ضبة، وقيل: هو مولى بني ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة، وقيل أيضًا: مولى بلال بن هرمي من بني ضبيعة بن بجالة.

ويتبين من ذلك أن يونس بن حبيب عربي الأصل، ولكن بروكلمان[٢] ذكر رأيًا آخر قال: "زعم مصنف مفاخر العجم أنه أعجمي مفتخرًا بذلك توهمًا منه أنه من أهل الجبل" بينما هو في الحقيقة من مواليد "جَبُّل" القرية الواقعة بين النعمانية وواسط، ولعل لفظ (جبل) هو الذي أوهمه أنه من أهل الجبل.

مولده:

لا خلاف بين المؤرخين أنه ولد في جَبُّل، وهي بلدة صغيرة بالعراق على دجلة. واختلف العلماء في السنة التي ولد يونس بن حبيب فيها فقيل: مولده سنة تسعين ، وقيل: مولده سنة ثمانين[٣].

وفاته:

اتفق المؤرخون على أنه قد طال العمر بيونس بن حبيب حتى ثقلت حركته قيل: إنه دخل المسجد يومًا وهو يتهادى بين اثنين من الكبر. فقال له رجل كان يتهم مودته: " بلغت ما أرى ، يا أبا عبد الرحمن!" فقال له: "هو الذي ترى فلا بلغته"[٤].

---

(١) قيل إن حبيب اسم أمه ولهذا لا يصرفونه... ويقال إنه اسم أبيه فينصرف والله أعلم. (وفيات الأعيان: ٤١٧/٢، معجم الأدباء لياقوت: ٦٤/٢، الفهرست ٤٢).

(٢) تاريخ الأدب العربي ١٣٠/٢، موقف من يونس بن حبيب د/ محمود حسني – موقع مجمع اللغة الأردني.

(٣) وفيات الأعيان: ٤١٧/٢، معجم البلدان ٢٣/٢.

(٤) وفيات الأعيان : ٤١٧/٢، انباه الرواة: ٣٦٣/٢، الحيوان للجاحظ: ٥٩١/٥.

ثم اختلفوا في قدر عمره والسنة التي توفى فيها فقيل إنه توفى عام ١٨٣هـ وقيل عام ١٨٥، وقيل عام ١٨٢هـ. وأقل ما قالوا من أعوام عاشها يونس ٨٨ سنة ، وقيل عاش ٩٨ عاما، وقيل: إنه قارب المئة، وكان أطول عمر وهبوه للرجل مائة سنة واثنتين(١).

مذهبه النحوي وأخلاقه:

يعد يونس بن حبيب من أوائل النحويين البصريين فقد تتلمذ على أساتذة المدرسة البصرية كعبد الله بن أبي إسحاق مولى آل الحضرمي المتوفى سنة ١١٧هـ، وعيسى بن عمر الثقفي وأبي عمرو بن العلاء، ويعد يونس بن حبيب أحد علماء الطبقة الثالثة من طبقات البصريين فهو من العلماء الذين واجهوا العرب وسمع منهم حتى غدا مرجع الأدباء والنحويين في المشكلات.

وقد ساد المدرسة البصرية زمن يونس اتجاهان في النحو.

الاتجاه الأول: التشدد في القياس والسماع عن العرب ويمثله ابن أبي إسحاق وتلميذه عيسى بن عمر فكان ابن أبي إسحاق أشد تجريدًا للقياس وكان يطعن على العرب ولا يتحرج من أن يقول للشاعر العربي المشهور بالفصاحة: لحنت.

أما الاتجاه الثاني: فهو اتجاه متساهل في القياس مُعظم لما يرد عن العرب ويمثله أبو عمرو بن العلاء وتلميذه يونس بن حبيب فكانا يتحرزان عن تخطئة العربي ويعتمدان قوله وإن خالف القياس(٢).

وإذا أردنا أن نتعرف أكثر على خلق هذا الرجل ومذهبه وجدنا بعض الروايات تدلنا على المزيد من جوانب هذه الشخصية.

---

(١) وفيات الأعيان: ٤١٦/٢، البغية : ٣٦٥/٢، الفهرست : ٤٢ نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة: ٦١، ٦٢.

(٢) الأشباه والنظائر. الفن السابع "فن المناظرات"، نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة للشيخ محمد الطنطاوي: ٢٨، ٢٩، ٥٦، ١٠٥.

قال إبراهيم الحربي: "كان أهل العربية كلهم أصحاب أهواء إلا أربعة فإنهم كانوا أصحاب سنة: أبو عمرو بن العلاء، والخليل بن أحمد ، ويونس ابن حبيب البصري، والأصمعي"(١).

وقال أبو حاتم السجستاني: " فإذا فسرت حروف القرآن المختلف فيها أو حكيت عن العرب شيئًا فإنما أحكيه عن الثقات عنهم مثل: أبي زيد والأصمعي، وأبي عبيدة، ويونس وثقات من فصحاء الأعراب وحملة العلم"(٢).

وقال الجاحظ: " ومن أراد الأخبار فليأخذها عن مثل قتادة بن دعامة السدوسي، وأبي عمرو بن العلاء وابن جحدبة يزيد بن عياض الليثي، ويونس بن حبيب، وأبي عبيدة ومسلمة بن محارب... فإن هؤلاء وأشباههم مأمونون وأصحاب توق وخوف من الزوائد، وصون لما في أيديهم وإشفاق على عدالتهم"(٣).

فهذه الروايات تدل على ماكان يتمتع به يونس بن حبيب من احترام ومكانة بين علماء مدرسة البصرة وعند أتباعها من النحويين واللغويين والأدباء.

– وكان يعترف بالفضل لما جاء عن الرسول ﷺ قال محمد بن سلام: " قال يونس بن حبيب: " ما جاءنا عن أحد من راوئع الكلام ما جاءنا عن رسول الله ﷺ"(٤).

– وكان يونس حريصًا ألا يخوض في المسائل التي فرقت بين المسلمين قيل إنه جرى ذكر (القدر) في أحد مجالسه، فسئل عن رأيه فيه فقال: " لا فكر لي فيه"(٥).

---

(١) تهذيب التهذيب لابن حجر: ١٦٤/٣، يونس بن حبيب د. حسين نصار: ١٣.
(٢) المزهر في اللغة : ٤١٠/٢.
(٣) البغال (رسائل الجاحظ): ٢٦٦/٢،موقع النيل والفرات يونس بن حبيب د. حسين نصار: ١٣.
(٤) البيان والتبيين للجاحظ: ١٨/٢.
(٥) إنباه الرواه للقفطي: ٣٦٥/٢.

ولكن حرصه هذا لم يمنعه من إبداء رأيه في بعض المسائل فكان ذا نظرة تأملية، وصاحب رأي في بعض الجوانب الحياتية فقد ذكر عمر بن شبة عن خلاد بن يزيد عن يونس قال: " ثلاثة والله أشتهي أن أمكن من مناظرتهم يوم القيامة: آدم عليه السلام، فأقول له : قد مكنك الله من الجنة وحرم عليك شجرة، فقصدت لها، حتى ألقيتنا في هذا المكروه! ويوسف عليه السلام أقول له: كنت بمصر وأبوك عليه السلام بكنعان، بينك وبينه عشر مراحل، يبكي عليك حتى ابيضت عيناه: لِمَ لَمْ ترسل إليه: إني في عافية وتريحه مما كان فيه من الحزن؟

– وطلحة والزبير أقول لهما: عليّ بن أبي طالب – عليه السلام بايعتماه بالمدينة وخلعتماه بالعراق، لم، أي شيء أحدث؟[١].

– وكان يونس رضى الخلق يثنى على أساتذته وزملائه وتلاميذه ويبادر إلى تصديق أقوالهم ويورد من الأقيسة ما يدعمها وسوف يتضح ذلك جليًا في هذا البحث بمشيئة الله تعالى.

شيوخه ومنهجه في الأخذ عنهم:

أخذ يونس بن حبيب النحو عن أوائل النحويين البصريين وأهم من أخذ عنهم وكان لهم أثر واضح فيه " حماد بن سلمة وعبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي وعيسى بن عمر وأبو عمرو بن العلاء.

– فحماد بن سلمة بن دينار البصري[٢]. كان عالمًا بالنحو، وكان يونس يفضله. قال ابن الأنباري: "وحكى أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب عن محمد بن سلام في ترتيب النحويين من البصريين فقال: وحماد – يعني حماد بن سلمة – كان يونس بن حبيب يفضله"[٣].

---

(١) نزهة الألباء: ٣٣. سيبويه إمام النحاة د. علي النجدي ناصف:٩٣.

(٢) نزهة الأباء: ٤٠، معجم الأدباء: ٢٥٤/١٠، إنباه الرواة: ٣٢٩/١، المدارس النحوية: ٢٢.

(٣) نزهة الألباء: ٢٧، يونس بن حبيب د. حسين نصار: هامش ص ٢١.

وبالرغم من أنه كان يفضله إلا أن الأقوال التي نقلها عنه نادرة إذا ما قيست بالأقوال التي نقلها عن غيره من شيوخه، ومثال ما رواه عنه ما جاء في نزهة الألباء[1]: "حكى أبو الحسن الأخفش عن يونس بن حبيب أن حمادًا حدثه أن ناسًا من العرب يقولون في النسب إلى شية: شيوي، والوجه فيه غير ذلك، وهؤلاء كأنهم قلبوا موضع الفاء فوضعوه في موضع اللام".

وربما ترجع هذه الندرة إلى أن الشيخ كانت رواية الحديث تغلب عليه.

* * *

وعبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي عاصره يونس ورآه وروى عنه وكان يبجله ويرى أنه أعظم علماء عهده في النحو، قال محمد بن سلام[2]: "سئل يونس عن ابن أبي إسحاق وعلمه فقال: "هو والنحو سواء" أي هو الغاية قال: "فأين علمه من علم الناس اليوم؟ قال: "لو كان في الناس اليوم من لا يعلم إلا علمه يومئذ لضحك به، ولو كان فيهم أحد له ذهنه ونفاذه ونظر نظرهم، كان أعلم الناس".

– ويروى أن يونس بن حبيب سأل عبد الله بن أبي إسحاق عن كلمة "السويق" وهو الناعم من دقيق الحنطة هل ينطقها أحد من العرب "الصويق" بالصاد؟ فأجابه: نعم قبيلة عمرو بن تميم تقولها، ثم قال له: وما تريد إلى هذا؟ عليك بباب من النحو يطرد وينقاس"[3].

وقال أبو عبيدة[4]: "زعم يونس عن ابن أبي إسحاق قال: أصل الكلام بناؤه على فَعَلَ، ثم ينبني آخره على عدد من له الفعل من المؤنث والمذكر، من الواحد والاثنين والجميع، كقولك: فعلت وفعلنا وفعلن وفعلا وفعلوا ويزاد في أوله

(١) نزهة الألباء: ٢٧.
(٢) طبقات فحول الشعراء: ١٤، والنزهة: ١١.
(٣) طبقات فحول الشعراء: ١٥.
(٤) مجاز القرآن: ٣٧٦/١، إنباه الرواة: ٣٦٥/٢.

ما ليس من بنائه فيزيدون الألف كقولك: أعطيت، إنما أصلها عطوت، ثم يقولون: معطي، فيزيدون الميم بدلاً من الألف".

ولا يخفى فضل هذا الشيخ الجليل على علم النحو وعلمائه يقول عنه ابن سلام(١): "كان أول من بَعَج "فتق" النحو ومدّ القياس وشرح العلل".

فيعده العلماء أول من اشتق قواعد النحو وأول من طرد فيها القياس بحيث يُحمل ما لم يُسمع عن العرب على ما سُمع عنهم، وأول من عُني بالتعليل للقواعد تعليلاً يمكنها في ذهن تلاميذه.

* * *

وعيسى بن عمر الثقفي البصري أخذ عن ابن أبي إسحاق ومضى على هديه يطرد القياس ويعممه وتتلمذ على يديه يونس بن حبيب وقد تجلى أدبه مع أستاذه عيسى بن عمر حين قال سيبويه: " وزعم عيسى بن عمر أن ناسًا من العرب يقولون: إذنْ أفعلُ ذلك، في الجواب بالرفع.

قال سيبويه: فأخبرت يونس بذلك فقال: " لا تُبْعِدَنَّ ذا، ولم يكن ليروي إلا ما سمع ، جعلوها بمنزلة هل وبل"(٢). أراد أنهم لم يعملوها.

* * *

أما عمرو بن العلاء فقد لزمه يونس وكان يثق به ويضعه في منزلة عالية.

قال الجاحظ: "حدثني أبو عبيدة قال: كان أبو عمرو أعلم الناس بالغريب والعربية وبالقرآن والشعر وبأيام العرب وأيام الناس... وكانت كتبه التي كتب عن العرب الفصحاء قد ملأت بيتا له إلى قريب من السقف، ثم إنه تقرأ أي: تنسك فأحرقها كلها فلما رجع إلى علمه الأول لم يكن عنده إلا ما حفظه"(٣).

---

(١) طبقات فحول الشعراء: ١٤.
(٢) الكتاب:١٦/٣ ، نشأة النحو: ٦٣.
(٣) البيان والتبيين: ٣٢١/١.

وفي كتاب سيبويه نقول كثيرة تحوي أقوالاً لأبي عمرو بن العلاء أخذها عن يونس من ذلك قوله: "زعم يونس أن أبا عمرو كان يقول: داري خلف دارك فرسخان، فشبهه بقولك: دارُك مني فرسخان، لأن (خلف) ههنا اسم، وجَعَل (منْ) فيها بمنزلتها في الاسم. وهذا مذهب قوي"(١).

كذلك قوله: "فإن سميت المؤنث بـ "عمرو" أو "زيد" لم يجز الصرف، هذا قول أبي إسحاق وأبي عمرو فيما حدثنا يونس وهو القياس"(٢).

وقال سيبويه: "واعلم أن "كمْ" في الخبر لا تعمل إلا فيما تعمل فيه رب؛ لأن المعنى واحد، إلا أن كم اسم ورب غيرُ اسم بمنزلة مِنْ. والدليل عليه أن العرب تقول: كم رجلٍ أفضلُ منك، تجعله خبر كم. أخبرناه يونس عن أبي عمرو"(٣).

وقد روى عنه في اللغة ففي توضيح معنى "عنان" يقول ابن منظور: "العنَانُ" بالفتح : السحاب، ورواه بعضهم أعنانَ بالألف، فإن كان المحفوظ أعنان فهي النواحي، قاله أبوعبيدة قال يونس بن حبيب: أعنان كل شيء نواحيه، فأما الذي نحكيه نحن فأعناءُ السماء نواحيها قاله أبو عمرو وغيره"(٤).

ويروي عن شيخه قائلاً: " وسئل أبو عمرو بن العلاء عن قول عنترة: ..... وَعَمي صَباحاً دارَ عَبلَةَ وَاسلَمي(٥).

فقال:هو كما يعمى المطر ويعمى البحر بزبده وأراد كثرة الدعاء لها بالاستسقاء(٦). وفي اللسان: " وعمى الشيء عَمْيا: سال وعَمَى الماء يعمي إذا سال(٧).

---

(١) الكتاب: ٤١٧/١.
(٢) الكتاب: ٢٤٢/٣.
(٣) الكتاب: ١٦١/٢، وروى عنه كذلك : ١١٣/٢.
(٤) اللسان : عنن.
(٥) البيت. من الكامل من معلقة عنترة بن شداد وصدره: "يا دار عبلة بالجواء تكلمي". شرح المعلقات السبع للزوزني ص ١٦٤.
(٦) موقع المكتبة الإسلامية الشاملة .
(٧) اللسان: (عمى).

وليونس بن حبيب منهج في روايته عن شيوخه فلم يلغ شخصيته أمامهم فما يرويه عنهم ولم يعقب عليه يبدو أنه كان موافقا له وقد جاء سيبويه في كتابه ببعض الأقوال التي تبين ذلك.

منها قوله: " إذا لقبت مفردا بمفرد أضفته إلى الألقاب، وهو قول أبي عمرو ويونس والخليل، وذلك قولك: هذا سعيد كرز، وهذا قيس قفة قد جاء، وهذا زيد بطة... فإذا لقبت المفرد بمضاف، والمضاف بمفرد جرى أحدهما على الآخر كالوصف، وهو قول أبي عمرو ويونس والخليل وذلك قولك: هذا زيد وزنُ سبعةٍ، وهذا عبد الله بطةُ يا فتى وكذلك إن لقبت المضاف بالمضاف(١).

ومنها قوله: " قد يقول بعض العرب: ارمْ، في الوقف، واغْزْ، واخْشْ؛ حدثنا بذلك عيسى بن عُمر ويونس. وهذه اللغة أقل اللغتين. جعلوا آخر الكلمة حيث وصلوا إلى التكلم بها بمنزلة الأواخر التي تحرك مما لم يحذف منه شيء؛ لأن من كلامهم أن يشبهوا الشيء بالشيء، وإن لم يكن مثله في جميع ما هو فيه"(٢).

وعلى الجانب الآخر ما يرويه يونس عن شيوخه ولم يوافق عليه لا يقتصر على روايته عنهم، بل يكشف عن رأيه حتى لو خالفهم في ذلك الرأي.

من ذلك ما ذكره سيبويه من اختلاف يونس مع أستاذيه عيسى بن عُمر وأبي عمرو في تصغير معتل العين واللام،وأدلى برأي فضله سيبويه على ما جاء به الشيخان فيقول في تصغير "أحوى": " وأما عيسى فكان يقول: أُحَيٌّ ويصرف وهو خطأ لو جاز ذا لصرفتَ أصَمَّ؛ لأنه أخف من أحْمَرَ، وصرفتَّ أرْأس إذا سميَّت به ولم تهمز فقلت: أرَسَ.

وأما أبو عمرو فكان يقول: أحَيٍّ. ولو جاز ذا لقلت في عطاء: عُطَيٍّ؛ لأنها ياء كهذه الياء، وهي بعد ياء مكسورة، ولقلت في سقايةٍ سُقَيِّية وشاو: شُوَيٍّ. وأما يونس فقوله: هذا أُحَيٌّ كما ترى وهو القياس والصواب"(٣).

---

(١) الكتاب: ٣/٢٩٥.
(٢) الكتاب: ٤/١٥٩.
(٣) الكتاب: ٣/٤٧٢، ويراجع الكتاب لسيبويه في مخالفة يونس لشيوخه٢/٢١، ٢/٧٧، وطبقات فحول الشعراء لابن سلام: ١٦، ١٩.

ومن ذلك أيضًا ما ذكره سيبويه من اختلاف يونس مع شيخه أبي عمرو بن العلاء في النسب إلى الأسماء المعتلة الآخر بالياء أو الواو مع سكون ما قبلها يقول سيبويه: " وحدثنا يونس أن أبا عمرو كان يقول في ظبية: طبْيِيٌّ. ولا ينبغي أن يكون في القياس إلا هذا إذ جاز في أُمَيّةَ وهي معتلة، وهي أثقل من رَمْيِيٍّ.

وأما يونس فكان يقول في ظَبْيةٍ ظَبَويٌّ وفي دُميةٍ دُمَوِيٌّ، وفي فِتْية: فتَّويٌّ.... (١).

وقد عرض سيبويه هذه المسألة وفصل القول فيها وخلاصتها: أن الأسماء المعتلة الآخر بالياء أو بالواو مع سكون ما قبلها إذا كانت خالية من تاء التأنيث اتفق جميع النحويين في النسب إليها، فقالوا في ظَبْيّ: ظَبْيِيّ، وفي غزو: غَزْوِيّ وعلل سيبويه ذلك بأن حرف العلة في هذه الألفاظ جرى مجرى الألفاظ الصحيحة ولم يعل.

فإذا اتصلت تاء التأنيث بها اختلف النحويون:

فأبو عمرو لم يفرق بين الخالي من التاء والمتصل بها وجعل النسب إلى ظبية: ظبيي وإلى غزوة: غزوي مثل النسب إلى ظبي وغزو دون تفريق، وعلق سيبويه على هذا الرأي بأنه القياس.

أما يونس فخالف بين الكلمة عند دخول التاء عليها وقال إننا إذا نسبنا إلى ظبية قلنا: ظَبَويٌّ، وإلى دُمية: دُمَوِيّ، وإلى فتية: فِتَويّ من اليائي، وإذا نسبنا من الواوي إلى غزوة قلنا: غزويّ، وإلى عروة: عُرويّ، فلا فرق بين الواوي واليائي.

كذلك قد خالف يونس شيخه أبا عمرو بن العلاء وهو أقرب شيوخه إلى قلبه.

يقول سيبويه في إثبات التنوين وحذفه في الاسم المنصرف: "وقال يونس: من صرف هندًا قال: هذه هندٌ بنتُ زيدٍ" فنون "هندا"؛ لأن هذه موضع لا يتغير فيه الساكن، ولم تدركه علة. وهكذا سمعنا من العرب.

---

(١) الكتاب ٣/٣٤٧، ٣٤٨.

وكان أبو عمرو يقول: هذه هندُ بنتُ عبد الله فيمن صرف، ويقول لمَّا كثر في كلامهم حَذفوه كما حذفوا لا أَدْرِ، ولم يكُ ولم أتلْ وخُذْ وكُلْ، وأشباه ذلك وهو كثير"(١).

فعند يونس إثبات التنوين في الاسم المنصرف هو المسموع عند العرب؛ لأنه لا توجد علة لحذفه وعند أبي عمرو يجوز حذف التنوين من الاسم المنصرف لكثرته في كلامهم.

وهذا يبين أن يونس بن حبيب كان ينقل عن شيوخه ويروي عنهم ولا يقبل ما قالوا دون تمحيص أو مناقشة بل كان يمعن الفكر فيما يسمع ويناقش ويرد الرأي بالحجة وبما لديه من أقوال سمعها عن العرب.

وأدى به ذلك إلى الانفراد بمجموعة من الآراء التي لم يتابعه فيها جمهور البصريين ووُصف بسبب ذلك بأنه: "له قياس في النحو ومذاهب ينفرد بها"(٢).

من ذلك قول سيبويه في باب ما يتقدم فيه المستثنى " وحدثنا يونس أن بعض العرب الموثوق بهم يقولون: مالي إلا أبوك أحد " فيجعلون أحدًا بدلاً كما قالوا ما مررت بمثله أحد فجعلوه بدلاً"(٣).

وكان يونس يجوز إعمال (ما) الحجازية مع انتقاض نفيها بإلا"(٤).

وكذلك كان عندما يضع قياسًا ما يطرده ويعممه، نرى ذلك في عدة مواضع. فنحن نقول: أعطيتكمْ ذلك، ونسكن الميم ونحذف واو الجمع، فإذا اتصل بها ضمير آخر حركناها وأثبتنا الواو وقلنا: أعطيتكمُوه ولكن يونس طرد القاعدة العامة وطبقها على الحالة الثانية وقال: أعطيتكمْه وأعطيتُكُمْها، والأول أكثر وأعرف، كما يقول سيبويه(٥).

---

(١) الكتاب: ٥٠٦/٣.
(٢) ابن خلكان في وفيات الأعيان:٤١٦/٢، إنباه الرواة:٣٦٥/٢،البغية: ٣٦٥/٢.
(٣) الكتاب: ٣٣٧/٢.
(٤) الكتاب: ٥٩/١، ٦٠- نشأة النحو: ٦١، ٦٢.
(٥) الكتاب: ٣٧٦/٢، ٣٧٧.

وطرد قاعدة عدم التقاء الساكنين حتى في الحالات التي يباح فيها ذلك.

قال سيبويه في باب ما يذهب التنوين فيه من الأسماء لغير إضافة ولا ألف ولام ولا لأنه لا ينصرف: " تقول: هذا زيدٌ بُنَيُّ عمرو، في قول أبي عمرو ويونس؛ لأنه لا يلتقي ساكنان، وليس بالكثير في الكلام ككثرة (ابن) في هذا الموضع"(١).

وطرد في الممنوع من الصرف القاعدة التي تندرج تحتها الكلمات الصحيحة على الكلمات المعتلة حتى خطأه الخليل قال سيبويه: "وأما يونس فكان ينظر إلى كل شيء من هذا إذا كان معرفة: كيف حالُ نظيره من غير المعتل معرفة ، فإذا كان لا ينصرف لم يَصرف، يقول: هذا جواري قد جاء ومررتُ بجواريَ قبلُ، وقال الخليل: هذا خطأ لو كان من شأنهم أن يقولوا هذا في موضع الجر لكانوا خلقاء أن يلزموه الرفع والجر إذ صار عندهم بمنزلة غير المعتل في موضع الجر.." (٢).

وقد علق الرماني على هذا القياس فقال: "قياسه على المعتل أولى به وهو جوار في الجمع؛ لأن الباب كله على ياء في آخر الاسم قبلها كسرة فيما لا ينصرف. وذلك يقتضي الحذف والعوض... فلا وجه لمعصيته مع صحة إجرائه على منهاج واحد"(٣).

وسوف يتضح هذا المنهج أكثر من خلال صفحات هذا البحث.

---

(١) الكتاب ٥٠٨/٣، يونس بن حبيب د. حسين نصار ص/١٥٢. اختلفوا في السبب الذي حسَّن حذف التنوين من قولك: هذا زيد بن عمرو، فكان سيبويه يذهب في ذلك إلى أن السبب فيه كثرته في الكلام واجتماع الساكنين فإذا لم يجتمع ساكنان لم يحذف، وكان يونس يذهب إلى أن العلة فيه اجتماع الساكنين ولم يذكر غير ذلك وكان أبو عمرو يذهب إلى أن العلة فيه كثرته في الكلام. هامش ٥٠٨/٣، النكت للأعلم ٩٥٧/٢.

(٢) الكتاب: ٣١٢/٣.

(٣) الرماني: ٢١٥، يونس بن حبيب، د. حسين نصار: ١٥١، ١٥٢ بتصرف.

تلاميذه:

التف حول يونس بن حبيب طلاب العلم من كل مكان بعد أن عرفوا قدره وإخلاصه في العطاء. قال أبو زيد: " ما رأيت أبذل لعلم من يونس"(١).

كما عرفوا حرصه على علوم العربية وإقباله عليها لا يشغله عنها شاغل حتى أصبح له حلقة ينتابها طلاب العلم من كل مكان، وصارت حلقته في وصف مروان بن أبي حفصة حيث قال: "فلم أر حلقة أعظم من حلقة يونس"(٢).

وقد طال عمر هذه الحلقة بطول عمر صاحبها حتى قال أبو زيد الأنصاري(٣): "جلست إلى يونس بن حبيب عشر سنين وجلس إليه قبلي خلف الأحمر عشرين سنة"، وقال أبو عبيدة معمر بن المثنى: "اختلفت إلى يونس أربعين سنة أملأ كل يوم ألواحي من حفظه".

وقد كانت هذه الحلقة مقصدًا لفصحاء الأعراب ووفود البادية للالتقاء بهم والتحدث معهم ولسؤال المترددين عليها، كما كانت مقصدًا للأدباء والشعراء وكان الهدف الأول لمقصد هذه الحلقة هو علم العربية الذي برز فيه يونس وبرز فيه تلاميذه الملتفون حوله.

وقد اشتهر منهم في النحو: أبو بشر عمرو بن عثمان" سيبويه" وأبو عمر صالح بن إسحاق الجرمي(٤).

وقد اتفق العلماء على أن سيبويه "روى عنه وأكثر"(٥). وسيأتي ما يثبت ذلك.

وتتفق الروايات أيضًا أن بعض أعلام الكوفيين قصدوا يونس بن حبيب ونقلوا عنه منهم أبو الحسن علي بن حمزة الكسائي وأبو زكريا يحيى بن زياد الفراء(١).

---

(١) إنباه الرواة للقفطي: ٣٦٤/٢.
(٢) نزهة الألباء: ٤٣.
(٣) القفطي: ٣٦٦/٢، ياقوت : ٢-٦٥، وفيات الأعيان: ٤١٦/٢.
(٤) بغية الوعاة : ٨/٢، نزهة الألباء: ٩٨.
(٥) يراجع الخليل بن أحمد د. مهدي المخزومي: ٢١٩، سيبويه أمام النحاة د. علي النجدي ناصف: ٩٠.

واشتهر منهم في اللغة أبو عبيدة معمر بن المثنى وعبد الملك بن قريب الأصمعي وأبوزيد سعيد بن أوس الأنصاري[٢]، وأبومحمد يحيى ابن المبارك اليزيدي[٣]، ومحمد بن المستنير قطرب. وقد كثرت روايتهم عن شيخهم يونس كثرة واضحة في كتب اللغة.

واشتهر من تلاميذه في الأدب والأخبار أبو محرز خلف بن حبان الأحمر وأبو عبد الله محمد بن سلام الجمحي[٤]. الذي روى عنه كثيرا في كتابه طبقات فحول الشعراء.

وذكر ابن الجزري جماعة من تلاميذه في قراءة القرآن هم: " ابنه حرمي بن يونس، وأبو عمر الجرمي، وإبراهيم بن الحسن، وعبد الله بن سليمان، وعيسى الأسدي، وموسى بن عبد الصمد الأبلي".

وقيل روى الحديث عنه رجلين هما زياد بن عثمان بن زياد أبي سفيان وقريش بن أنس[٥].

ويدل هذا على أن يونس اشتغل بالحديث النبوي واستدل به في علوم العربية فقد أسند إلى أبي عبيدة معمر بن المثنى- وهو أحد تلاميذه- أنه قال ليونس بن حبيب النحوي: إن الحسن كان يقرأ ﴿آمَرْنَا مُتْرَفِيهَا﴾[٦]. [الإسراء: ١٦] يريد : أكثرنا فقال: هذا

---

(١) بغية الوعاة: ٣٣٣/٢، ٣٦٥، نزهة الألباء: ٣١، ياقوت: ٦٤/٢، وفيات الأعيان: ٤١٦/٢.
(٢) أبو الطيب: ٣٩- ٤٠، المزهر: ٣٩٩/٢، ياقوت: ٦٤/٢٠.
(٣) أبو الطيب: ٩٨.
(٤) المزهر: ٤٠٥/٢.
(٥) غاية النهاية : ٤٠٦/٢، يونس بن حبيب: ٣٩.
(٦) قرأ يعقوب: "ءامرنا مترفيها" بالمد وقرأ الباقون بغير مد ولا خلاف بينهم في تخفيف الهمزة ويقال آمرت بالمد الشيء بمعنى كثرته. التذكرة في القراءات لابن غلبون: ٤٩٨/٢ ت. د/ عبد الفتاح بحيري ط٢.

لا يكون، قال: ثم إن يونس قال: صدَّق عندي قولَ الحسن قولُ النبي ﷺ: "خير المال مهرة مأمورة" والمهرة المأمورة: الكثيرة النتاج[١].

وتتمثل قيمة هذا النص في استدلال يونس بن حبيب بالحديث النبوي في ثبوت مسألة لسانية على خلاف ما أشيع عن أئمة النحاة من أنهم لا يحتجون بالحديث النبوي[٢]. ويكشف ذلك النص عن تحول يونس عن رأيه الرافض لقراءة الحسن البصري (آمرنا) لأنه لم يسمعه عن العرب أو نقل عنهم إلى القول بجواز ذلك استدلالاً بالحديث : "خير المال مهرة مأمورة"[٣].

وهكذا نرى أن حسن خلق يونس بن حبيب وإخلاصه في بذل العلم مع ما يتمتع به من جهد دائب وذاكرة واعية، وشخصية قوية جعلت طلاب العلم ينتبهون إليه ويلتفون حوله حتى أصبح له تلاميذ برزوا في علوم شتى.

ثقافته:

كان يونس بن حبيب من الذين أخلصوا حياتهم للعلم وكان يرفع قدر العلم حتى قال: " علمك من روحك ومالك من بدنك فضعه منك بمكان الروح، وضع مالك بمكان البدن"[٤]، ولذلك كان يطلبه في كل مكان سمع أنه فيه، وكان يرى أن علم العربية خاصة أمر ضروري لكل رجل، لا بد أن يحسنه علمًا وعملاً، أو نظرًا وتطبيقًا، حتى

---

(١) الإسراف في منازل الأشراف لابن أبي الدنيا: ١٦٨، ١٦٩، ونص الحديث: " خير المال سكة مأبورة وفرسٌ مأمورة أو مهرة مأمورة وسكة مأبورة" السكة: السطر المصطف من النخل، المأبورة : المصلحة، والمأمورة: الكثيرة النتاج والنسل. يراجع: مقاييس اللغة: ١٣٨/١، البيان والتبيين: ١٩/٢.

(٢) هذه القضية تناولتها بالبحث في رسالة الدكتوراه بعنوان: موازنة نحوية بين كتاب معاني القرآن وإعرابه للزجاج، وإعراب القرآن للنحاس من سورة مريم إلى آخر سورة الناس ص ١٧٧: ١٩٤.

(٣) موقع الألوكة- المجلس العلمي إشراف د. سعيد عبد الله الحميد، د. خالد الحدسي تحت عنوان : نص نفيس ليونس.

(٤) عيون الأخبار: ١٢١/٢.

يتحلى بالفصاحة والبيان فقال: " ليس لعي مروءة ولا لمنقوص البيان بهاء ولو بلغ يافوخه أعنان السماء"(١).

وقد تثقف ثقافة واسعة ليس في علم العربية فحسب ولكنه برع في أكثر من علم .

فهو عالم بالأنساب يُضرب به المثل، في الدراية بهذا العلم والتمكن منه، وهو قصاص من أولئك الذين كان الناس يتحلقون حولهم في المساجد ويستمعون إلى ما يروونه من أحاديث وأخبار.

وكان مقبول القول حتى إن الخليفة المعتز كتب له كتابًا لينظر في أمر متظلم تظلم إليه لما كان يرى في يونس من ثبات واستقامة على الحق.

وهو ناقد أدبي مؤهل بكل متطلبات النقد فكان عالمًا بالشعر نافذ البصر في تمييز جيده من رديئه عارف بطبقات شعراء العرب مرجعًا لمن كان الأدب يشغل تفكيرهم، وكان الشعراء يذهبون إليه يستأنسون برأيه قبل أن يذيعوا أشعارهم للناس(٢).

وليونس قول ذائع يدل على دقة حكمه ومعرفته بطبيعة الشعر وما يتحكم في جودته فقد سأله محمد بن سلام عن أشعر الناس فقال: لا أومي إلى رجل بعينه ولكني أقول: امرئ القيس إذا ركب، والنابغة إذا رهب، وزهير إذا رغب، والأعشى إذا طرب"؛ ولذلك لقب يونس بالأديب الشاعر لجهوده في النقد ولمشاركته في رواية الشعر وحكاية الأخبار، ولذلك عده المؤرخون من رجال الطبقة الخامسة في الأدب، ربما أرادوا بذلك أيضًا الجيل الخامس من اللغويين والنحاة(٣).

مؤلفاته:

---

(١) عيون الأخبار: ١٧٥/٢، والبيان والتبيين: ٧٧/١.

(٢) معجم الأدباء: ٥٦/٢٠، طبقات فحول الشعراء لابن سلام ٤٤، ٤٥٧، البيان والتبيين: ١٧٤/١، ١٣/٢، ١١/٣، يونس بن حبيب د. حسين نصار٩٨: ١١٦.

(٣) وفيات الأعيان: ٤١٦/٢، ابن العماد: ٣٠١/١- تحفة الأبية للفيروز آبادي: ١١٠، يونس بن حبيب: ١١٦، ١١٧

إن سعة علم يونس بن حبيب مكنته من التأليف في شتى فروع العربية فنسب إليه المؤرخون أنه ألف أربعة كتب معروفة هي: كتاب "معاني القرآن" و "كتاب النوادر"، و "كتاب "الأمثال" وكتاب "اللغات"[١].

ولم يصل إلينا منها إلا أقوال متناثرة في كتب تلاميذه/ محمد بن سلام الجمحي، وأبي عبيدة معمر بن المثنى ، وأبي زيد الأنصاري وغيرهم. هذا فضلاً عما رواه عنه سيبويه.

وقد تناقلت الكتب هذه الأقوال بعد ذلك، وانتفع بها تلاميذه فاغترفوا منها وأقاموا عليها كتبهم فألفوا في النوادر، والأمثال، واللغات، ومعاني القرآن فوصلت إلينا أقوال يونس بن حبيب عن طريق هذه المؤلفات التي انتفع بها طلاب العلم في مشارق الأرض ومغاربها.

وله كتب غير معروفة منها كتاب الموازنة بين الشعراء ذكره بروكلمان في ترجمة يونس بن حبيب كذلك أضاف أنه صنف كتاب القياس في النحو[٢].

وقد قام الأستاذ الدكتور/ حسين نصار بتقديم دراسة لكتب يونس بن حبيب ضمن كتابه يونس بن حبيب[٣]. تغني عن إعادتها هنا.

---

(١) الفهرست لابن النديم: ٣٤، ٤٢، معجم البلدان: ٦٧/٢٠. وفيات الأعيان: ٤١٦/٢، إنباه الرواة ٣٦٧/٢.

(٢) تاريخ الأدب العربي: ١٣٠/٢، ١٣١.

(٣) ضمن سلسلة أعلام العرب: من ص ٤٢: ٦٣.

الفصل الثاني
جهود يونس النحوية والصرفية

وفيه النقاط التالية:

أولاً: دور الكتاب في إظهار جهود يونس النحوية والصرفية.

ثانيًا: يونس والخليل.

ثالثًا: آراؤه في تفسير القرآن الكريم وقراءاته.

رابعًا: آراؤه في اللغة.

أولاً: دور الكتاب في إظهار جهود يونس النحوية والصرفية

كانت شهرة يونس بن حبيب تأتي من علمه باللغة والنحو إذ كان يلقب بـ "يونس النحوي" تمييزًا له عن غيره ممن عُرفوا بهذا الاسم وقد أسهم يونس بن حبيب في تطور النحو مساهمة فعالة وكان له شخصيته الواضحة وأثره البيّن حتى قيل: " وكانت له مذاهب وأقيسة تفرد بها".

ولم يترك لنا "يونس بن حبيب" كتابًا في النحو يدون فيه آراءه النحوية ولكنه شابه معاصره "الخليل بن أحمد" في الاقتصار على تدريس النحو ومناقشة التلاميذ، فلم تصل إلينا الآراء، النحوية الخاصة بهما إلا عن طريق كتاب سيبويه فهو المصدر الرئيس بل المصدر الوحيد لأقوال يونس ابن حبيب، وكان القدماء أنفسهم يشكون في كل رأي ينسب إلى "يونس" ما لم يكن مستقي من الكتاب [١].

وإذا أردنا أن نظهر دور الكتاب في هذا الجانب فلا نغفل دور صاحب الكتاب أيضًا فسيبويه صاحب الكتاب يُعد من أهم التلاميذ الذين التفوا حول "يونس بن حبيب" وقد اتفق القدماء على أن سيبويه "روى عنه وأكثر" فقد ذكر سيبويه أنه نقل عنه أبوابا في الكتاب فقال: "والذي ذكرت لك في جميع ذا قول يونس" وقال: أيضًا وجميع ما ذكرت لك في هذا الباب وما أذكر لك في الباب الذي يليه قول يونس[٢].

وأقر كل ما حكاه عنه.

روى أن يونس بن حبيب قال ــ وقد ذكر عنده سيبويه ــ "أظن هذا الغلام يكذب على الخليل" فقيل له: "قد روى عنك أشياء فانظر فيها" فنظر فقال: صدق في جميع ما قال، هو قولي [٣].

---

(١) نزهة الألباء: ٦٠، يونس بن حبيب د./ حسين نصار ص ١٣١ بتصرف.
(٢) الكتاب: ٣/٤٢٢، ٤٢٣.
(٣) بغية الوعاة: ٢/٢٢٩، ٣٦٥، انباه الرواه للقفطي: ٢/٣٦٥، وفيات الأعيان: ٢/٤١٦، مقدمة الكتاب: ١/٢٠ يونس بن حبيب د./ حسين نصار ص ٣٧.

وهذه الشهادة رفعت من ذكر سيبويه وكتابه الذي أصبح المعتمد الأول لمن يريد أن يدرس آراء يونس، وأن يثق بأن ما بين يديه من أقوال صادرة حقًا عن الرجل.

ومما يدل على أمانة سيبويه ما ذكره ابن مالك من موافقته ليونس في أن (لكنْ) ليست من حروف العطف حيث قال: "ونفيت أن يكون منها (لكن) موافقا ليونس فإنها عنده حرف استدراك لا حرف عطف فإن وليها مفرد معطوف فعطفه بواو قبلها لا يستغنى عنها إلا جملة مصرح بجزأيها نحو: "ما قام سعد ولكن سعيد ولا تزر زيدًا ولكن عمرًا" ولو كانت عاطفة لاستغنى بها عن الواو... وما يوجد في كتب النحويين من نحو: "ما قام سعد لكن سعيد ولا تزر زيدًا لكن عمرًا فمن كلامهم لا من كلام العرب ولذلك لم يمثل سيبويه[1] في أمثلة العطف إلا "بولكن"، وهذا من شواهد أمانته وكمال عدالته، لأنه لا يجيز العطف بها غير مسبوقة بواو" [2].

وقد اتخذ سيبويه طرقًا شتى في كتابه لإظهار جهود يونس النحوية والصرفية منها:

١ – أنه كان يعتز به ويثق في كلامه ويسأله كلما أشكل عليه وسوف أعرض نماذج من أسئلة سيبويه لشيخه يونس نتعرف فيها على مضمون هذه الأسئلة وبعض المعاني التي تضمنتها الإجابة عن هذه الأسئلة مع ذكر ما يتعلق بتوضيحها.

السؤال الأول: عن حكاية [3]. العلم الموصوف بكلمة "ابن".

---

(١) الكتاب: ١/٤٣٥.

(٢) شرح التسهيل لابن مالك: ٣/٣٤٣، أوضح المسالك: ٣/٣٤٠، مغني اللبيب: ص ٣٨٥.

(٣) الحكاية ومثلها المحاكاة في اللغة: المشابهة وقد استعمل النحاة اللفظ الأول منها وهو الحكاية وأرادوا منه: إيراد اللفظ المسموع على هيئته من غير تغيير فيه أو إيراد صفته. فإذا قال لك قائل: "رأيت زيدًا" فقلت له: "من زيدًا" فقد أوردت لفظ

قال سيبويه: "وسألت يونس عن "رأيت زيدَ بنَ عمرو" فقال: أقول مَنْ زيدَبنَ عمرو ؛ لأنه بمنزلة اسم واحد. وهكذا ينبغي، إذا كنت تقول يا زيدَ ابن عمرو، وهذا زيدُ بنُ عمرو فتسقط التنوين. فأما مَنْ زيدٌ الطويلُ فالرفع على كل حال ؛ لأن أصل هذا جرى للواحد لتعرِّفه له بالصفة فلما جاوز ذلك ردّه إلى الأعرف" (١).

حكاية العلم بعد "مَنْ"

للعرب في العلم بعد (مَن) مذهبان: المذهب الأول لأهل الحجاز، والمذهب الثاني لبني تميم فأهل الحجاز جوزوا حكاية لفظه فيُجرى العلم بعد "مَنْ" على إعرابه السابق في كلام المخاطب يقول سيبويه: "اعلم أن أهل الحجاز يقولون: إذا قال الرجل رأيتُ زيدًا: مَنْ زيدًا ؟ وإذا قال: مررت بزيدٍ قالوا: مَنْ زيدٍ ؟ وإذا قال: هذا عبد الله قالوا: مَنْ عبد الله ؟ وأما بنو تميم فيرفعون على كل" (٢).

ويعلل الأعلم حكاية أهل الحجاز في الأعلام قائلاً: "لئلا يتوهم المسئول أنه سُئل عن غير الذي ذكره وموضع المنصوب والمخفوض في "مَنْ زيدًا أو مَنْ

زيد الذي سمعته على هيئته الإعرابية التي وقعت في كلام المتكلم من غير أن تغير فيه، وإذا قال لك:= ="ضربت زيدًا" فقلت (أيًا) فقد أوردت صفة اللفظ الذي وقع في كلامه ولم تورد اللفظ نفسه".

والحكاية ثلاثة أقسام: الأول: حكاية الجمل وهي مطردة بعد القول: نحو: "قال إني عبد الله" مريم ٣٠ ــ الثاني: حكاية المفرد وأغلب ما تكون في الأعلام ؛ لكثرة دورانها في كلامهم ومثالها أن يقول لك قائل: (رأيت محمدًا) فنقول: (من محمدًا) فـ (مَنْ) اسم استفهام مبتدأ مبني على السكون في محل رفع و (محمدًا) خبر مرفوع بضمة مقدرة على آخره منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة الحكاية ؛ فالمحكي هنا هو محمد، لأنك جئت به في كلامك على إعرابه الذي جاء في كلام المتكلم الأول: والثالث: حكاية حال المفرد، وأكثر ما تكون بأي وما وكل منهما اسم استفهام ، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك لابن هشام مع عدة السالك للأستاذ محمد محي الدين عبد الحميد ٤/٢٥١، ٢٥٢.

(١) الكتاب: ٢/٤١٤.

(٢) الكتاب: ٢/٤١٣.

زيدٍ" رفع على خبر مَنْ كما أن قولهم: دعْنا من تمرتان في موضع خفض، وإنما يختار أهل الحجاز الحكاية في الأسماء الأعلام دون غيرها ؛ لأن أكثر ما يُخبر عن الناس بها في جميع صفاتهم وأحوالهم، والاسم العلم إذا ذكر فكأنه مشتمل على تعريف جميع ما فيه من صفاته المعروفة وإنما ينعت إذا زاحمه غيره في لفظه ليتبَين من غيره (١).

فكلام أهل الحجاز مع مخالفته القياس إلا أن العلماء عللوا له بأن الغرض إزالة توهم المسئول أنه سئل عن غير الذي ذكره، وبأن الأعلام يتوهم تنكيرها ووجود التزاحم لها في الاسم فكانت الحكاية لإزالة هذا التوهم، وهذا المعنى ليس موجودًا في غير الأعلام من المعارف، لأنه لا يصح اعتقاد تنكيرها فالاسم المعرف بأل "كيف يمكن اعتقاد تنكيره مع وجودها فيه ؟ والمضاف كيف يجعل نكره مع وجود الإضافة ؟ وكذا سائر المعارف.

كذلك كثرة دور الأعلام في كلامهم وسعة استعمالها في الأخبار والمعاملات وبنو تميم جَرَوْا في العلم بعد "مَنْ" على القياس في غير باب الحكاية فرفعوه بعدها أبدًا.

مضمون سؤال سيبويه لشيخه يونس

أن العلم إذا أتبع فكان منعوتًا أو مؤكدًا أو مبدلاً منه أو معطوفًا عليه عطف بيان فإن إعادته في السؤال بعد "مَنْ" مع توابعه هذه تغني عن الحكاية ؛ إذ يعرف المخاطب أن المسئول عنه هو المذكور بإرشاد إعادة التوابع المذكورة بعينها إليه فيقال لمن قال: "رأيت زيدًا الظريف" أو "رأيت زيدًا نفسه" أو رأيت زيدًا أبا محمد" "مَنْ زيدٌ الظريف" ومَنْ زيدٌ نفسه" ومَنْ زيدٌ أبو محمد" (٢).

لذا يسأل سيبويه (رحمه الله) عن العلم الموصوف بكلمة (ابن) بعد (مَنْ) هل تسوغ حكايته ؟ أو يعامل معاملة العلم الموصوف بغيرها؟

---

(١) النكت في تفسير كتاب سيبويه للأعلام ٦٨٧/١.
(٢) شرح التصريح ٢٨٥/٢.

لأن لكلمة "ابن" ما ليس لغيرها من النعوت، فهي إذا وقعت بين علمين صارت مع أولهما ككلمة واحدة وحذف لهذا تنوين العلم الأول وإذا لم تقع بين علمين اعتبرت منفصلة عما قبلها فينون العلم قبلها.

وفي الجواب

بين يونس (رحمه الله) أن من أسقط تنوين العلم المنعوت بكلمة "ابن" لوقوعها بين علمين جازت له حكاية هذا العلم نحو: "مَنْ زيد بن عمرو؟ " في جواب: "رأيت زيد بن عمرو" ولا يمنع الوصف بكلمة "ابن" حكاية العلم الموصوف بها؛ لأنه وإن أغنى الوصف هنا كغيره من الأوصاف ــ لكنه ينزل من الموصوف منزلة جزء كلمة، بدليل حذف تنوين العلم الموصوف، فجازت حكايته، وهذا من معنى ما قاله يونس: "أقول: مَنْ زيد بن عمرو؟" لأنه بمنزلة اسم واحد، وهكذا ينبغي إذا كنت تقول: "يازيدُ بنَ عمرو" فتسقط التنوين".

فكلما نزلت كلمة "ابن" مما قبلها منزلة جزء الكلمة، بأن وقعت بين علمين، تصف أولهما، وحذف التنوين لهذا التنزيل من الموصوف جازت الحكاية، وإذا لم تنزل كلمة "ابن" مما قبلها منزلة جزئه، ولم يسقط التنوين من موصوفها، لأنها لم تقع بين علمين نحو: "رأيت زيدًا ابن أخي" امتنعت حكاية العلم وتعين رفعه بعد "مَنْ" فيقال: مَنْ زيدُ ابن أخي؟ ".

قارن (يونس) في جوابه بين العلم السابق المنعوت (بابن) وبين مَنْ زيدُ الطويل" مما نُعت فيه العلم بغير "ابن" فذكر أنه تمتنع فيه الحكاية، ويتعين رفعه بعد "مَنْ"، لأن العلم والوصف لم يجعلا ككلمة واحدة، لأن الأصل أن يذكر الموصوف، ثم تذكر صفته لتعرف العلم، فتغني عن حكايته، فيعود إلى الأصل والقياس في الاستعمال وهو رفع العلم على كل حال من أحواله الثلاثة في كلام المسئول، فيقال في جواب "جاء زيد الطويل" و "رأيت زيدًا الطويل" و "مررت بزيد الطويل" فيقال: مَنْ زيدٌ الطويل؟ بالرفع في كل حالة [1].

(١) ثلاث من مسائل الكتاب أد/ أبو المجد علي عمارة من ٧: ١٠ بتصرف.

السؤال الثاني عن رفع المضارع بعد فاء السببية في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً﴾(١).

مضمون السؤال:

أن المضارع يُنصب بأن المضمرة وجوبًا بعد الفاء المجاب بها نفي محض أو استفهام الأول، نحو: "ما أهملتُ فأعاقَبُ" والثاني نحو: "هل أخلصتَ لله العملَ فيكرمَك؟" فإذا كان المضارع مسبوقًا باستفهام عن النفي نحو: "ألمْ" و "ألما" وهو المسمى: الاستفهام التقريري صار الكلام إيجابًا وخرج من النفي إلى الاستفهام، وبقي مع هذا صورة كل منهما، وما ورد من مضارع منصوب حينئذ يفسرونه بأحد تفسيرين:

الأول: وقوعه بعد الاستفهام صورة .

والثاني: وجود صورة النفي (٢).

وقد سأل سيبويه شيخه يونس عن رفع المضارع في هذه الحالة التي يجتمع فيها صورة النفي والاستفهام معًا، كيف يرفع جوابهما المقرون بالفاء، وما معنى الكلام حينئذ؟

فقال سيبويه: "وسألته عن (٣) ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً ۖ ﴾ فقال: هذا واجب، وهو تنبيه، كأنك قلت: أتسمع أن الله أنزل من السماء ماء فكان كذا وكذا، وإنما خالف الواجبُ النفي لأنك تنقض النفي إذا نصبت وتغيّر المعنى، يعني أنك تنفي الحديث وتوجب الإتيان، تقول: ما أتيتني قط فتحدِّثَني إلا بالشرّ، فقد نقضتَ نفي الإتيان وزعمت أنَّه قد كان.

---

(١) الحج: ٦٣.

(٢) التصريح: ٢/٢٣٩.

(٣) السؤال هنا لشيخه يونس بن حبيب لأن الحديث في العبارة السابقة مباشرة إلى بداية السؤال مع شيخه الكتاب ٣/٤٠.

وتقول: ما تأتيني فتحدِّثَني، إذا أردت معنى فكيف تحدِّثُني، فأنت لا تنفي الحديث، ولكنَّك زعمت أنَّ منه الحديث، وإنما يحول بينك وبينه ترك الإتيان"(١).

وفي الجواب

علل يونس بن حبيب الرفع في الفعل المضارع الواقع بعد فاء السببية في قوله "فتصبح" بأن النفي التالي استفهامًا نحو: "ألم" و "ألما" و "أليس" يدعوه النحاة نفيًا غير محض.

يقول الشيخ خالد: "واحترز بتقييد النفي والطلب بمحضين من النفي التالي تقريرًا والمنتقض "بإلا" فالأول نحو: "ألم تأتني فأحسنُ إليك "بالرفع إذا لم تُرد الاستفهام الحقيقي، وإنما أردت أن تحمل مخاطبك على الإقرار والاعتراف بإتيانه إليك وإحسانك إليه" (٢).

فيكون المعنى المتحصل من القول: "ألم تأتني فأحسنُ إليك" برفع أحسنُ: أتيتني فأحسنت إليك فالهمزة في "ألم" للتقرير بما بعد "لم".

وإلى هذا يشير قول يونس: "هذا واجب وهو تنبيه"، كأنك قلت: "أتسمع أن الله أنزل من السماء ماء، فكان كذا وكذا.

وإنما وجب لكي ينصب ما بعد الفاء كون ما قبلها نفيًا أو طلبًا لأنهما غير حاصلين فيكونان كالشرط الذي هو غير متحقق الوقوع، ويكون ما بعد الفاء لهما كالجزاء وقوله في تعليل الرفع: "هذا واجب" يعني: أنه واقع وحاصل كذلك من أن الاستفهام لم يرد به حقيقته، وإنما أريد به تقرير المخاطب بما بعد النفي وأنه حدث، فما بعد الفاء حينئذ ليس كالجزاء، بل هو حاصل كذلك، لأن المعنى: أنزل من السماء ماء فأصبحت الأرض مخضرة (٣).

السؤال الثالث: "عن تصغير ثلاثين ونحوه"

---

(١) الكتاب: ٣/٤٠.
(٢) التصريح: ٢/٢٣٩.
(٣) شرح الكافية للرضي: ٢/٢٤٨، ثلاث من مسائل الكتاب ص ١٤، ١٥.

قال سيبويه: "وسألت يونس عن تحقير (ثلاثين) فقال: ثُلَيْثُونَ ولم يثقل، شبهها بواو جلولاء ؛ لأن (ثلاثًا) لا تُستعمل مفردةً على حد ما يفرد ظريف، وإنما ثلاثون بمنزلة عشرين لا يفرد ثلاثٌ من ثلاثين، كما لا يفرد العِشرُ من عشرينَ، ولو كانت إنما تلحق هذه الزيادةُ الثلاثَ التي تستعملها مفردة لكنتَ إنما تعني تِسعة، فلما كانت هذه الزيادة لاتُفارق شُبهت بألفي جَلولاء" (١).

وتوضيح ذلك

أنه إذا صُغر ما خَتم بعلامة تثنية أو بالواو والنون أو بالألف والتاء وكان ثالثه مدًا، وكان باقيًا على جمعيته لم تحذف مدته الثالثة نحو "ظريفان" و "كريمون" و "دجاجات" وتصغيرها: "ظُريِّفان وكريِّمون ودُجَيِّجات" بتشديد الياء قولاً واحدًا؛ لأن علامة التثنية والجمع ككلمة منفصلة، فلا يعتد بها ويقع التصغير على صدر الكلمة.

وإذا جعلت هذه أعلامًا فإن النحاة يختلفون في المدة الثالثة حينئذ:

ــ فسيبويه يجعلها أعلامًا غير نكرات، فباعتبار أصلها هي منفصلة كالتاء، وبالنظر لحال العلمية هي من تمام الكلمات قبلها، فلا جرم يبقى هذه الزيادات بحالها حينئذ إذا صغَّر كما يبقى ثاني كلمتي "بعلبك" ويحذف المدات التي قبلها فيقول: "ظريْفان" و "كريْمون" و "دجيجات" بياء واحدة جعل الزيادات التي في الآخر كبعض حروف بنية الكلمة فتستثقل الكلمات معها فتحذف المدات لذلك(٢).

ــ والمبرد لا يحذف المدة الثالثة ؛ لأن الزيادات التي في الآخر وإن لم تكن حال العلمية مفيدة لمعان غير معان الكلمات المتصلة هي بها حتى تعد كالكلمة المنفصلة، لكنها كانت قبل العلمية كذلك مثل تاء التأنيث، فراعى هذا الأصل عند النسب، فشدد الياء الثالثة في النسب كحالها قبل العلمية (٣).

---

(١) الكتاب ٣/٤٤٢.
(٢) النكت للأعلم ٢/٩٦٠.
(٣) المقتضب ٣/٣٦٢.

ومضمون السؤال:

أن "ثلاثين" ونحوها وهي نكرة لا تكون العلامة في آخرها مستقلة؛ لأنه لم يفرد له واحد كسائر الجموع، فهل تعتبر هذه الزيادة ككلمة مستقلة فلا تحذف لتصغيرها المدة الثالثة، أو تعتبر جزء كلمة،فتحذف المدة في تصغيرها للتخفيف؟

فبين يونس في جوابه لتلميذه سيبويه أن تصغير ثلاثين: ثليثون "ولم يثقل؛ شبهوها بواو "جلولاء" أي أنه يحذف ألف ثلاثين عند التصغير كما يحذف الواو من "جلولاء" ؛ لأن الزيادتين في الأولى كألفي التأنيث في الثانية، لا تفارق واحدة منهما الكلمة، فتنزلتا منزلة جزء كلمتيهما، فحذف المد الثالث لاستثقال طول الكلمة.

وبين أنه شبهت زيادتا "ثلاثين" بألفي التأنيث في "جلولاء" لأن مفردها غير مستعمل، كما يستعمل من "ظريفين" "المفرد ظريف" وعدم استعمال المفرد يجعل الكلمة مبنية على الزيادة التي في آخرها فتصير كجزء كلمتها.

ويدل على أن مفرد "الثلاثين" ليس "الثلاث" أنه لو كان كذلك لوجب أن يصح إطلاقه على "تسعة".

ومن هذا الجواب نستنبط أن تصغير "ثلاثين" ونحوه علمًا يكون بحذف المدة الثالثة أيضًا، لأنه في حال العلمية تكون الزيادة جزءًا من العلم. والله أعلم [1].

السؤال الرابع :

عن ألف الإلحاق المقصورة إذا كانت رابعة هل تقلب واوًا عند النسب ؟

مضمون السؤال: أن الألف الرابعة المقصورة الساكن ثاني كلمتها إذا كانت زائدة صرفة وهي التي للتأنيث، فالحذف فيها هو الأجود ويجوز ــ في غير الأجود ــ القلب نحو: "حبلى وحُبلويّ".

---

(١) يراجع: الكتاب ٤٤٢/٣ المقتضب ٣٦٢/٣ النكت ٩٦٠/٢ ثلاث من مسائل الكتاب ص ٢٧.

والألف الرابعة المنقلبة عن أصل الأجود فيها ــ أن تقلب عند النسب واوًا ويجوز في غير الأجود ــ حذفها تشبيهًا بألف التأنيث، فيقال "الأعلى" و "الأعلوي".

فجاء سؤال سيبويه لشيخه ينبهنا إلى أن ألف الإلحاق ليست كالتي للتأنيث لكونها في مقابلة أصلي، والتي للتأنيث ليست كذلك، وليست كالألف المنقلبة عن أصل؛ لأنها زائدة.

وفي ذلك يقول سيبويه: (وسألت يونس عن "معزى وذفرى" فيمن نون ــ فقال: هما بمنزلة ما كان من نفس الكلمة، كما صارت "علباء" حيث انصرف بمنزلة "رداء" في الإضافة والتثنية، ولا يكون أسوأ حالاً في ذا من "حُبلى") (١).

وبيان ذلك أن ألف (معزى وذفرى) تكون للإلحاق إذا نونت الكلمتان وتكون للتأنيث فلا تنون الكلمتان وبناء "فِعلى" بكسر الفاء مشترك بين الألفين.

والألف الملحقة في "معزى و ذفرى" تجعلها بوزن درهم فهي في مقابل الميم، فأشبهت الألف المنقلبة عن لام الكلمة في نحو "الأعلى" و "الملهى" هذه عن أصل وتلك للإلحاق بالأصل.

وهمزة "علباء" و "حرباء" تُلحق الكلمتين بنحو "سِرْداح" فهي في مقابلة الحاء التي هي اللام، فأشبهت همزة "سماء" و "رداء" هذه منقلبة عن أصل، والأولى ملحقة بالأصل ولهذا يذكرون الهمزتين في عبارة: "ألا تكون الهمزة زائدة صرفة ولا أصلية صرفة" (٢).

وألف الإلحاق وهمزته لهما شبه بالأصل لكونها في مقابلة أصلي وشبيهتين بالزائد ؛ لأن عينهما ليست حرفًا أصليًا.

---

(١) الكتاب ٣/٣٥٢.

(٢) يراجع في هذا شرح المفصل لابن يعيش ٥/١٠٩ ثلاث من مسائل الكتاب ص٣٣: ٣٥.

فكان السؤال عن "معزى" و"ذفرى"[1] إذا نونتا فتكون ألفهما للإلحاق ومن لم ينون وكانت ألفهما للتأنيث عنده كان حكم ألفهما ــ حينئذ ــ حكم التي للتأنيث، الأجود فيها الحذف وهو معلوم، لا ينبغي أن يتعلق به سؤال سيبويه فقال يونس: (هما بمنزلة ما كان من نفس الكلمة" المراد أنهما في حال النسب إلى ما هما فيه تقلبان واوًا فيقال: "مِعزَوي" و "ذِفْرَوِيّ" فهذا هو الأجود في الرابعة التي هي من نفس الكلمة ولم يشبهها بالزائدة التي للتأنيث، مع أن حذفها جائز مثلها، فيصح فيها "مِعزىّ" و "ذفرىّ" والحكم بحذفها معلوم ولهذا كان سؤال سيبويه عن قلبها هل تعامل معاملة التي من نفس الكلمة ؟

وقول يونس: "كما صار "علباء" [2] حيث انصرف بمنزلة رداء في الإضافة والتثنية" معناه: أن همزة "علباء" لما كانت للإلحاق، بدليل صرف الكلمة تنزلت منزلة التي هي بدل من أصل في "رداء وكساء، ففي التثنية يقال "علباءان وعلباوان" وفي الإضافة يقال: "علبائي وعلباويّ" كما يقال في "رداءين": رداءان ورداوان ورداىّ ورداويّ" وكما يترجح في "رداء" في التثنية والإضافة التصحيح على القلب يترجح من "علباء" فيهما التصحيح.

وقوله: "ولا يكون في ذا أسوأ حالاً من "حبلي" هذا القول من يونس يراد به دعم القول بقلب ألفي "مِعزَيَ" و "ذِفْرى" واوًا عند النسب، لأنهما في مقابلة أصلي، وليستا متمحضَتين للزيادة، فحيث جاز في التي للتأنيث القلب واوًا كان القلب في التي للإلحاق خيرًا من سابقتها ؛ لأن في هذه شيئًا من الأصالة وهو كونها في مقابلة أصلي وليس في التي للتأنيث شيء من هذا، فالقلب في التي للإلحاق أحسن منه في التي للتأنيث.

السؤال الخامس:

عن قلب الألف الخامسة المنقلبة عن أصل واوًا عند النسب إن كانت ألف المقصور خامسة فصاعدًا فليس فيها عند النسب إلا الحذف أيا كانت نحو

---

(١) غدة خلف أذن البعير.

(٢) العِلباء عصب في جانب العنق وهما علباوان همزته للإلحاق.

"حبارى" و "سمانى" في التي للتأنيث و "مُرامى" و "مُستدعى" في المبدلة من أصل و "الحبنطى" في التي للإلحاق.

ومضمون السؤال: أن ألف "مُرامى" ونحوها منقلبة عن أصل هو لام الكلمة وهي خامسة، والمبدلة عن أصل وهي ثالثة فيها وجه واحد وهو القلب نحو: عصا فيقال عند النسب عصويّ، وفي الرابعة المبدلة عن أصل الأجود أن تقلب واوًا نحو ملهى يقال عند النسب ملهوي فهلا جاز القلب في الخامسة كما جاز في الرابعة، أو تعين كما في الثالثة.

وفي ذلك يقول سيبويه: "وسألت يونس عن "مُرامىً" فقال: "مُرامِيٌّ" جعلها بمنزلة الزيادة، وقال: لو قلتَ: "مُرامَوِيٌّ" لقلت "حُبارَوِيٌّ" كما أجازوا في (حُبْلي": "حُبْلَوِيٌّ" ولو قلت ذا لقلت في "مُقْلَوْلي" "مُقْلَوْلَوِيّ"(١) وهذا لا يقوله أحد، وإنما يقال: "مُقْلَولِيّ" كما تقول في "يَهْيَري" (٢) "يَهْيَرِيٌّ".

فإذا سُوِّىَ بين هذا رابعًا وبين ما الألف فيه زائدة: نحو "حُبْلى" لم يجز إلا أن تجعل ما كان من نفس الحرف إذا كان خامسًا بمنزلة "حُبارى".

وإن فرقت بين الزائد وبين الذي من نفس الحرف دخل عليك أن تقول في فبعَثْرى(٣): قبعْثَرِويٌّ لأن آخره منون فجرى مجرى ما هو من نفس الكلمة، فإن لم تقل ذا وأخذت بالعدد فقد زعمت أنهما يستويان، وإنما ألزموا ما كان على خمسة أحرف فصاعدا الحذف، لأنه حين كان رابعًا في الاسم بزنة ما ألفه منه كان الحذف فيه جيدًا وجاز الحذف فيما كانت ألفه من نفسه، فلما كثر العدد كان الحذف لازما إذ كان من كلامهم أن يحذفوه في المنزلة الأولى.

---

(١) اسم مفعول أومصدر ميمي أو اسم زمان أو مكان من الفعل "اقلولي" إذا ارتفع وعلا.

(٢) اليهيرى: مقصور مشدد: الماء الكثير والباطل ونبات أو شجر القاموس "هير".

(٣) العظيم الخلق وألفه للتكثير.

وإذا ازداد الاسم ثقلاً كان الحذف ألزم، كما أن الحذف لربيعةَ ألــزمُ حــين اجتمع تغييران" (١).

ففي هذا النص أجاب الشيخ يونس تلميذه سيبويه بأن الألف المنقلبة عن أصــل وهي خامسة تحذف عند النسب إلى كلمتها كما تحذف التي هي للتأنيث، كذلك لا فــرق بينهما وذلك لطول الاسم وكثرة حروفه فيقال في النسب إلى "مُرامىً": "مُراميّ" كما يقال في النسب إلى "حُبارى": "حبارِيّ" وعلل يونس جوابه ووضحه بعدة أمور منها: أنه لو لم يجب حذف الألف الخامسة وأجيز قلبها واوًا لكونها عن أصل فقيل: "مُرامَوِي" لــزم أن يجوز في النسب إلى "حبارى": "حباروِيّ" بقلب الخامسة التي للتأنيــث واوًا فتحمــل الخامسة التي للتأنيث على الخامسة المنقلبة عن أصل والتي هي مــن نفــس الكلمــة فتقلب واوًا مثلها، كما حملت الرابعة التي للتأنيث على الرابعة المنقلبة عــن أصــل، فقلبت واوًا مثلها في نحو "حبلوى" و" سكروى" كما قيل: "مرموى".

ومنها: إن الألف السادسة تشارك الألف الخامسة في طــول الاســم بكــل منهما، فإذا ساغ القلب في الخامسة المنقلبة عن أصل، ينبغي أن يسوغ القلب في السادسة المنقلبة عن أصل كذلك، فكان يقال في النسب إلى "مُقْلَوْلَيً: مُقْلَوْلَــوِيّ" بقلب السادسة واوًا وهذا لا يقوله أحد من العرب وإنما يحذفون الألف السادســة مطلقًا في النسب كما يحذفون السادسة التي للتأنيث في النســب فــي "يَهْيَــرى" فيقولون: يَهْيَرِيّ بحذف الألف ومنها: أننا إذا فرقْنا بين الألف الزائدة التي للتأنيث وبين الألف التي من نفس الكلمة، فألزمنا الزائدة الحذف وجوزنا في التــي مــن نفس الكلمة القلب، فقلنا "مُراموي" بالقلب "وحباريّ" بالحذف لزمنا أن نقول فــي "قبعثرى" مما ألفه سادسة ليست للتأنيث لكون كلمتها منونة "قبعثروي" بقلب ألفه واوًا إجراء لها مجرى التي من نفس الكلمة، وهذا لا يقال.

ولزوم حذف الألف الخامسة والسادسة عند النسب لوجود ثقل مضاعف في كلمتها. فلزمها الحذف عند النسب كما كان لزوم حذف يــاء "ربيعــة"، لأن فيهــا

(١) الكتاب: ٣/٣٥٥.

تغييرين تغيير حركة أخره بالكسر المناسب لياء النسب وحذف تاء التأنيث اللازم والكلمة كلما زاد التغيير فيها كان الحذف فيها ألزم فالتغيير يؤنس بالتغيير(١).

وهناك أسئلة كثيرة قد سألها سيبويه لشيخه يونس (٢).

مما يدل على أنه قد نهل من علمه وأخذ عنه واستفاد من حلقته.

وفي هذا رد على قول د./ شوقي ضيف في "يونس بن حبيب": "وكانت حلقته في البصرة تغصّ بالطلاب، وفي مقدمتهم أبو عبيدة اللغوي وسيبويه واسمه يتردد في كتابه، ولكن غالبًا في شواهد اللغة، لا في الآراء النحوية، فسيبويه على ما يبدو ــ لم يكن يعجب بتلك الآراء" (٣).

ولو فُرض أن سيبويه لم يكن يعجب بآراء يونس النحوية فإن ذلك لا يتنافى مع ذكر هذه الآراء في كتابه ونقلها كما فعل مع غيره من العلماء، كما أن هذه الآراء لم تقتصر على نظرة سيبويه إليها فحسب، وإنما أقبل عليها من جاء بعد سيبويه من العلماء بالدراسة والتحليل والتعليل والاختيار.

٢ – ومن الطرق التي اتخذها سيبويه لإظهار جهود شيخه يونس النحوية والصرفية في الكتاب.

أنه كان يتخذ من رواية يونس تصديقًا لرواية نحوي آخر. فيقول سيبويه:

(وزعم أبو الخطاب أن العرب الموثوق بهم يقولون: أنا هذا، وهذا أنا.... وحدثنا يونس أيضًا تصديقًا لقول أبي الخطاب أن العرب تقول: هذا أنت تقول كذا وكذا، لم يرد بقوله: "هذا أنت" أن يعرّفه نفسه، كأنه يريد أن يعلمه أنه ليس غيره هذا محال ولكنه أراد أن ينبهه، كأنه قال: الحاضر عندنا أنت والحاضر القائل كذا وكذا أنت"(٤).

---

(١) يراجع الكتاب: ٣/٣٣٩، شرح المفصل لابن يعيش ٥/١٤٦.

(٢) منها سؤاله عن إجراء القول مجرى الظن في قوله متى تقول أنه منطلق ؟ الكتاب ٣/١٤٢ بالإضافة إلى أسئلة سيبويه ليونس والخليل معًا وهي تملأ الكتاب يراجع حـ ٢/٢٣٦.

(٣) المدارس النحوية: ص ٢٨.

(٤) الكتاب: ٢/٣٥٤، ٣٥٥.

٣ – ومنها أنه أحيانًا قد لا يطمئن إلى قول نحوي فيلجأ إليه، فعنده الخبر اليقين يقول سيبويه: "وزعم عيسى بن عمر أن ناسًا من العرب يقولون: إذن أفعلُ ذاك في الجواب فأخبرت يونس بذلك فقال: لا تُبعدن ذا ولم يكن ليروي إلا ما سمع جعلوها بمنزلة هل وبل" (١).

٤ – ومنها أنه كان يستشهد للوجه الجائز بما ينشد يونس أو يسمعه عن العرب فيقول في باب ما يختار فيه الرفع إذا ذكرت المصدر الذي يكون علاجًا: "وإن قلت: له صوتٌ أيَّما صوتٍ، أو مثلَ صوتِ الحمار، أوله صوتٌ صوتًا حسنًا، جاز، زعم ذلك الخليل رحمه الله. ويقوي ذلك أن يونس وعيسى جميعًا زعما أن رؤبة كان ينشد هذا البيت نصبًا: فيها ازدهافٌ أيَّما ازدهافِ (٢)

يحمله على الفعل الذي ينصب صوت حمار" (٣).

ويستشهد سيبويه كذلك لما تقوله العرب كثيرًا بما سمعه يونس فيقول:"ومن يقول من العرب: ما جاءت حاجتُك(٤) "كثير" كما يقول من كانتْ أمُّك ولم يقولوا: ما جاء حاجتك كما قالوا مَنْ كان

---

(١) الكتاب:٣/١٦، نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة للشيخ محمد الطنطاوي: ٦٣ .

(٢) البيت من الرجز في ديوان رؤبة وفي اللسان (زهف) بدون نسبة وهو من أرجوزة طويلة يعاتب بها أباه، فيها أي في الأقوال والازدهاف: الاستخفاف يعني أن كلامه يستخف العقول والشاهد فيه نصب "أيما" على إضمار فعل دل عليه "ازدهاف الأولى الكتاب ١/٣٦٤.

(٣) الكتاب: ١/٣٦٤ وفي الكتاب: ١/١٢٠ نص آخر.

(٤) ما جاءت حاجتُك" برفع الحاجة ونصبها وكلاهما ورد عن العرب فإذا نصبت الحاجة كانت خبرًا لجاء لأنها بمعنى (صار) هنا خاصة واسم (جاء) ضمير يعود على (ما)، وعاد عليها مؤنثًا لأنها في المعنى كذلك أو هذا من تأنيث الاسم لتأنيث الخبر، وهو تأنيث لازم في هذه العبارة لكونها كالمثل، فلا يصح مراعاة لفظ (ما) الذي هو مرجع الضمير، بل يجب مراعاة معناه، وإذا رفعت الحاجة فهي اسم جاءت و (ما) خبرها مقدم في موضع نصب قال سيبويه: "وقول العرب ما جاءت حاجتك كأنه قال: ما صارت حاجتك، ولكنه أدخل التأنيث على (ما) حيث كانت الحاجة كما قال بعض العرب: من كانت أمَّك حيث أوقع مَنْ على مؤنث وإنما صُيرّ جاء بمنزلة كان في هذا الحرف وحده لأنه بمنزلة المثل: الكتاب١/٥٠، ٥١ وثلاث من مسائل الكتاب ص٦١.

أمّك، لأنه بمنزلة المثل فألزموه التاء.. وزعم يونس أنه سمع رؤبة يقول: ما جاءتْ حاجتُك، فيرفع" (١).

وقد جاء هذا النص في سياق إجراء العرب "جاء" مجرى "صار" في رفعها الاسم ونصب الخبر وأنه خاص بالجملة المأثورة التي لا تغير في النطق وكثرت في لسانهم كما يكثر المثل، ومن عدم تغيرها عما وردت عليه إلزام تأنيث (جاء) مع أن مرجع ضميرها وهو (ما) ــ مما يخالف لفظه معناه فالأصل فيه صحة مراعاة اللفظ بتذكير الضمير وصحة مراعاة معنى (ما) بتأنيث الضمير وقد فعلت العرب فيما يماثل هذه الجملة وهو قولهم: "من كانت أمُّك" بالتأنيث مراعاة لمعنى "مَنْ" والتذكير "مَنْ كان أمك؟" مراعاة للفظها، وجعلهم "ما" مؤنثًا في المعنى لأنها بمعنى الحاجة" كما قال سيبويه: "ولكنه أدخل التأنيث على "ما" حيث كانت الحاجة"(٢).

٥ – ومنها أن سيبويه اتخذ من قول شيخه يونس دعامة يؤيد بها مذهبه وذلك في قوله: "وأما يا تميم أجمعون فأنت فيه بالخيار إن شئت قلت: أجمعون وإن شئت قلت أجمعين، ولا ينتصب على أعنى من قِبَل أنه محال أن تقول: أعني أجمعين ويدلك على أن أجمعين ينتصب لأنه وصف لمنصوب قول يونس: المعنى في الرفع والنصب واحد" (٣).

٦ – ومنها أن سيبويه قد يتخذ من الموازنة بين شيخه يونس وبين شيخه الخليل بن أحمد ــ الذي عاصره ــ سبيلاً لعرض رأي شيخه يونس سواء بالموافقة أو المخالفة مما جعل كتاب سيبويه من أوائل الكتب التي تناولت فن الموازنات.

فعلى سبيل المثال وازن بينهما في "إفراد لبيك وتثنيتها".

---

(١) الكتاب: ١/٥١.
(٢) الكتاب: ١/٥١.
(٣) الكتاب: ٢/١٨٤، موقف من يونس بن حبيب د./ محمود حسني محمود / الجامعة الأردنية موقع مجمع اللغة الأردني.

فقال سيبويه: "وزعم يونس أن لبيك اسم واحد ولكنه جاء على هذا اللفظ في الإضافة كقولك: عليك، وزعم الخليل أنها تثنية بمنزلة حواليك، لأنَّا سمعناهم يقولون: حنانٌ، وبعض العرب يقول: "لَبٍّ" فيجريه مُجرى أمْسِ وغاق ولكن موضعه نصب وحواليْكَ بمنزلة حنانيكَ.

ولست تحتاج في هذا الباب إلى أن تُفرد، لأنك إذا أظهرت الاسم تبين أنه ليس بمنزلة "عليك وإليك" لأنك لا تقول: لَبَّى زيدٍ وسَعْدَى زيدٍ.

وقد قالوا: حَوَالَكَ "فأفردوا" كما قالوا: حنانٌ قال الراجز:

أهَدَمُوا بيتَك لا أبا لكا وحسبوا أنَّك لا أخا لَكَا

وأنا أمشي الدَّأَلَى حَوالَكا[1]

وقال:

دعَوْتُ لما نابَنْي مِسْوَرًا فَلَبَّى فلبَّىْ يدىْ مِسْوَرِ [2]

فلو كان بمنزلة عَلَى لقال: فلبَّى يَدَىْ مسور، لأنك تقول: على زيدٍ إذا أظهرتَ الاسم" [3].

---

(١) الرجز في اللسان "حول ــ د أ ل" والكامل ٣٤٧ وهو من تكاذيب الأعراب يزعمون أنه من قول الضب لولده أيام كانت الأشياء تتكلم ــ والد ألي: مشية فيها تثاقل يقال: مرّ يدأل بحمله، والشاهد فيه: "حوالكا" حيث جاء مفردا والمستعمل فيه "التثنية" الكتاب: ١/٣٥١.

(٢) البيت من الخمسين وهو من بحر المتقارب وقيل هو لأعرابي من بني أسد يقول: دعوت= =مسورا لرفع نائبه عنى فأجابني وكفاني مئونتها وكأنه سأله في دية والشاهد فيه "فلبى" بإثبات الياء للتثنية فهو رد على يونس في زعمه أن "لبيك" بمنزلة عليك ولو كان بمنزلتها لأثبت الألف كما تقولُ: على زيد في الإظهار، وقال الرماني: فهذا شاهد على أن الياء تثبت مع الإضافة إلى الظاهر وأن التثنية تكون للمبالغة.

(٣) الكتاب: ١/٣٥١، ٣٥٢.

ففي هذا النص أورد سيبويه قول الشيخين في كلمة "لبيك" فيونس يقول: إنها اسم مفرد غير مثنى قلبت ألفه ياء في الإضافة إلى الضمير، كما تقلب ألف (على).

ويرى الخليل أن (لبيك) من المصادر المثناة غير المتصرفة فلا تكون إلا مفعولاً مطلقًا وتصرفه بالإفراد قليل.

وقد رضي سيبويه بكلام الخليل وعلل له وقواه بما سمعه عن العرب من الإفراد في "حواليك": "حوال" وفي "لبيك": "لبِّ" مبنيًا على الكسر وفي حنانيك: (حنان).

وعلى الوجه الآخر رد سيبويه قول يونس فجعل الياء في "لبَّي" للتثنية كالياء في يدَى ولو كانت كالياء في عليك لقال: فلبَّي يَدَي كما تقول: على زيدٍ مالٌ وهذا لا يقال واستدل بما سمعه عن العرب من هذه الكلمات (١).

ووازن بينهما في "الوقف على نون التوكيد الخفيفة بعد ضم أو كسر"

يقول سيبويه: "وقال الخليل إذا كان ما قبلها مكسورًا أو مضمومًا ثم وقفت عندها لم تجعل مكانها ياء ولا واوًا، وذلك قولك للمرأة وأنت تريد الخفيفة: اخشىْ وللجميع وأنت تريد النون الخفيفة: اخشَوْا، وقال: هو بمنزلة التنوين إذا كان ما قبله مجرورًا أو مرفوعًا.

وأما يونس فيقول: اخْشَيى واخْشَوُوا، يَزيد الياء والواو بدلاً من النون الخفيفة من أجل الضمة والكسرة.

فقال الخليل: لا أدري ذاك إلا على قول من قال: هذا عَمْرُو، ومررتُ بعَمْرِي وقولُ العرب على قول الخليل" (٢).

ففي هذا النص يوازن سيبويه بين رأي الخليل ورأي يونس في الوقف على نون التوكيد الخفيفة المضموم ما قبلها والمكسور ما قبلها، أي التي ثبت قبلها

---

(١) النكت للأعلم: ٣٨٧/١، شرح الجمل للزجاجي: ٤١٤/٢، المصباح المنير للفيومي: ٣٥٦- لبب.

(٢) الكتاب: ٥٢٢/٣.

الضمير لكونه بعد فتحة في نحو: "اخشَوْا" و "اخشَىْ" فإنها إذا أكدت لا يحذف الضمير لعدم الحركة المناسبة قبله، بل تبقى واو الجمع مضمومة وياء المخاطبة مكسورة ويقال: "يا رجال اخشُون" ويا هند اسعِين" فنون التوكيد هنا إذا وقف عليها حذفت لشبهها بالتنوين بعد الضم والكسر في مثل: "جاء محمدن ومررت بمحمدِن" فكل منهما ساكن زائد والتنوين للتمكين والنون للتوكيد ــ فيقال في النون: يا رجال اخشَوْا ويا هند اخشَيْ وهذا رأي الخليل.

ــ وأجاز يونس للواقف على هذه النون أن يبدلها ياء بعد الكسرة نحو: اخشيي" وواوًا بعد الضمة نحو: "اخشوُوا".

وقد رد الخليل كلام يونس بأنه يوافق لغة "أزد شنوءة" الذين يقلبون التنوين بعد الكسرة ياء نحو: "مررت بعمري" وواوًا بعد الضمة نحو: هذا عمرو في الوقف "وهذه اللغة غير فصيحة" (١).

ولذلك لم يأخذ سيبويه برأي يونس وعقب بقوله: "وقول العرب على قول الخليل" أي أن اللغة الفصحى تقف على المنون المرفوع والمجرور بالحذف، فوازن سيبويه بينهما وأظهر رأي يونس واحتكم إلى اللغة الفصحى.

قد وازن بين يونس والخليل أيضًا في الحرف الزائد في التضعيف:

قال سيبويه: "سألت الخليل فقلت: سُلّمٌ أيتهما الزائدة فقال: الأولى هي الزائدة ؛ لأن الواو والياء والألف يقعن ثواني في فَوْعل وفاعِل وفيْعل، وقال في فَعلَل وفعلٍ ونحوهما: الأولى هي الزائدة ؛ لأن الواو والياء والألف يقعن ثوالث نحو: جَدْوَلٍ، وعِثْيَرٍ وشمال وكذلك (عدبّس) (٢) ونحوه، الأولى بمنزلة واو (فدوكس) وياء (عميثلٍ وكذلك: (قَفَعْدَدٌ)، جعل الأولى بمنزلة واو (كَنَهْوَرٍ) (٣).

وأما غيره فجعل الزوائد هي الأواخر... وكلا الوجهين صواب ومذهب" (٤).

---

(١) يراجع شرح الرضي: ٤٠٧/٢، شرح التصريح: ٢٠٨/٢، ثلاث من مسائل الكتاب: ١٠٥.

(٢) العدبس: الضخم من الإبل والشرس الخلق: العثير هو التراب.

(٣) الفدوكس الأسد والشديد من الناس، والعميثل: البطيء لترهله ومن يسبل إزاره دلالا ــ قفعدد هو القصير ــ كنهور: السحاب المتراكم.

(٤) الكتاب: ٣٢٩/٤.

ففي هذا النص وازن سيبويه بين رأي الخليل ويونس فقوله "وأما غيره" يقصد به يونس بن حبيب [١] في الحرف الزائد في التضعيف:

فمذهب الخليل أن أول التضعيف هو الزائد فاللام الأولى من (سُلّم) هي الزائدة لأن أول التضعيف تكثر فيه أمهات الزوائد وهي الواو والياء والألف ألا ترى أن هذه الأحرف قد تقع ثانية زائدة نحو (حومل) و (صيقل) و (كاهل) فإذا قضينا بزيادة اللام الأولى من (سلَّم) كانت واقعة موقع هذه الزوائد وساكنة مثلها. وكذلك قد تقع هذه الأحرف ثالثة....

ــ ومذهب يونس أن الثاني من التضعيف هو الزائد واستدل على رأيه كذلك بوجود النظير كما استدل الخليل.

ولذلك قال سيبويه وكلا المذهبين صواب.

ووازن بينهما كذلك في النسب إلى "مثل أخت" [٢].

يقول سيبويه: "وإذا أضفت إلى أخت قلت: أخويٌّ، هكذا ينبغي له أن يكون على القياس وذا القياس قول الخليل، من قِبَلَ أنَّك لمّا جمعتَ بالتاء حذفتَ تاء التأنيث كما تحذف الهاء، ورددت إلى الأصل، فالإضافة تحذفه كما تحذف الهاء وهي أردُّ له إلى الأصل.

وسمعنا من العرب من يقول في جمع هَنْتٍ: هَنَوات... فهي بمنزلة أخت وأما يونس فيقول: أُخْتيّ ، وليس بقياس" [٣].

وتوضيح ذلك: أن التاء في (أخت) و (بنت) بدل من لاميهما وليست التاء فيهما للتأنيث لسكون ما قبلها ولكنها في مذهب تاء التأنيث أي فيها رائحة التأنيث ؛ لأن الكلمتين لا تقعان إلا على مؤنث.

---

(١) يراجع الممتع في التصريف لابن عصفور: ٣٠٣، ٣٠٥.

(٢) مثلها: بنت وهَنت وكيت وذيْت، ثنتان وكلتا.

(٣) الكتاب: ٣/٣٦٠، ٣٦١.

ــ ومذهب الخليل وتبعه سيبويه أنه إذا نسب إليهما حذفوا التــاء منهمــا كحذفها في النسب إلى فاطمة وترد لامها في النسب فيقال: أخويّ وبنوي وهذا هو القياس في النسب إلى الكلمتين.

وهذه التاء تحذف في الجمع بالألف والتاء: (أخـوات) و (بنـات) وقـالوا فـي (هنت): هنوات، و (هنت) مثل الكلمتين، فإذا رُدت اللام في الجمع وحذفت التـاء كـان هذا في النسب ألزم، لأن الإضافة أقوى في الرد إلى الأصل من الجمع وهـذا القيـاس على الجمع هو ما لجأ إليه سيبويه في هذه المسألة.

ــ ويرى يونس بن حبيب أن النسب إليهما: (أختيّ وبنتيّ) فيلحقهما بجذْع وقُفل" محتجًا بأن التاء ليست للتأنيث لأن قبلها ساكن صـحيح ويوقـف عليهـا بالتاء، وتاء التأنيث لا يكون ما قبلها إلا مفتوحًا أو ساكنًا معلاً ويوقـف عليهـا بالهاء، ولم يكن يقول في هنْتٍ ومَنْتٍ هنْتيّ ومنتيّ فقال الخليل: (من قال: بنتـي قال: هنتي ومَنتي) يعني أنه يجب عليه أن يقول هذا، قال: (وهذا لا يقوله أحد)[1].

ووازن بينهما في مواطن كثيرة من الكتاب:

ــ منها ما جاء في باب المنفي المضاف بلام الإضافة واختلافهما في صحة الفصل بين اسم (لا) وبين المجرور باللام بعدها.

فأجاز يونس الفصل بينهما بما لا يستغنى به الكلام ورده سـيبويه لكـون المضافين كالكلمة الواحدة.

ورأى الخليل أنه قبيح وأن الفصل بين المتضايفين بابه الشعر[2].

ــ ومنها ما جاء في تصغير "قبائل" إذا سمي به رجل.

ــ فيرى الخليل أن ما سمي بنحو "قبائل" إذا صغر تحـذف ألفـه لضـعفها فيقال: (قبيئل) أو (قبيئيل) إذا عوض ياء من حذف الألف وكانت الألف عنده أحق بالحذف من همزة (قبائل) لأن الهمزة قوية بتحركها وكونهـا بمنزلـة الحـرف الأصلي فهي بمنزلة جيم مساجد.

---

(١) الكتاب: ٣/٣٦٣ والأعلم: ٢/٨٩٦.

(٢) الكتاب: ٢/ ٢٨٠، ٢٨١.

ويرى يونس أن تصغير (قبائل) (قُبيّل) بحذف الهمزة ويبقى الألف ثم يقلبها لياء التصغير وحذف الهمزة عنده لزيادتها وقر بها من الطرف الذي هو محل التغيير والألف وإن كانت ساكنة، فهي أسبق من الهمزة فقويت عنده بالتقدم (١).

٧ ــ ومن الطرق التي اتخذها سيبويه في الكتاب لإظهار جهود يونس النحوية والصرفية أن سيبويه كان أحيانًا يخالف شيخه يونس ويرد قوله وأحيانًا أخرى يفضل قوله على قول الخليل ويحكم عليه بالقوة.

فمن المواطن التي خالفه فيها "ما جاء في باب ما ترده علامة الإضمار إلى أصله حيث تحدث سيبويه عن فتح لام الجر إذا جرت الضمير: (له) وأن الضمير قد رد اللام إلى أصلها وهو الفتح، ثم قال: "وقد شبهوا به قولهم: "أعطيتكموه" في قول من قال: "أعطيتكم ذلك" فيجزم، رده الإضمار إلى أصله، كما ردَّه بالألف واللام حين قال: "أعطيتكم اليومَ،... وزعم يونس أنه يقول: "أعطيتُكُمْهُ" و"أعطيتُكُمْها" كما يقول في المظهر والأول أكثر وأعرفُ"(٢).

وقال أبو جعفر النحاس: "وأجاز يونس: "يريكُمْهم" (٣).

وبيان ذلك: أن حذف واو الجمع وإسكان الميم قبلها في "أعطيتكمو" إن لم يلها ضمير بأن وليها اسم ظاهر نحو: "أعطيتكُمْ ذلك" أشهر من إثبات الواو مضمومًا ما قبلها نحو: "أعطيتكمُو ذلك"، لأن الواو في الجمع في الآخر مضمومًا ما قبلها مستثقل، فحذفوا الواو وأسكنوا الميم، وبعضهم يثبت الواو حينئذ، لأن هذا يكون مستثقلاً في المعرب لا في المبنى.

وإن ولي هذه الميم ضمير نحو: "أعطيتكموه" وجب رجوع ضم الميم والواو بعدها فإن الضمير باتصاله صار كبعض حروف الكلمة فكأن الواو لم تقع طرفًا فلم يعد مستثقلاً (١).

---

(١) يراجع الكتاب: ٤٣٩/٣، المقتضب: ٢٨٥/٢ المنصف: ٨٥/٢، الأعلم: ٩٤١/٢، ٩٤٢، والمسائل المعروفة بالبغداديات للفارسي: ٥٣٠ .

(٢) الكتاب: ٣٧٦/٢، ٣٧٧.

(٣) إعراب القرآن للنحاس ١٨٩/٢.

وقد ذكر سيبويه أن يونس جوز حذف الواو وتسكين ميم الجمع مع الضمير أيضًا وعقب بأن الأول هو الأكثر والأعرف لعدم ثبوت الوجه الذي جوزه يونس عن العرب.

ومنها كذلك أنه رد ما رواه يونس عن العرب قائلاً: "وزعم يونس أن من العرب من يقول: إن لا صالحٍ فطالحٍ، على: إن لا أكنْ مررتُ بصالح فبطالحٍ وهذا قبيح ضعيف، لأنك تضمر بعد إن لا فعلاً آخر فيه حذف غير الذي تضمر بعد إن لا في قولك: إن لا يكنْ صالحًا فصالحٌ ولا يجوز أن يضمر الجار" (٢).

وقبح سيبويه ما قاله يونس عن العرب من جهتين: إحداهما: أنك تحتاج إلى إضمار أشياء، وحكم الإضمار أن يكون شيئًا واحدًا.

والثانية: أن حرف الجر يقبح إضماره إلا في مواضع قد جعل منه عوض.

وعلى الرغم من ذلك:

ــ نجد سيبويه في بعض المواضع يفضل قول شيخه يونس على قول شيخه الخليل بن أحمد ويعلل ذلك بأن رأي الخليل خالف المألوف من كلام العرب جاء ذلك.

في قوله عن تصغير "سفرجل وفرذدق" ونحوهما: "فتحقير العرب هذه الأسماء سفيرج وفريذد..... وإن شئت ألحقت في كل اسم منها ياء قبل آخر حروفه عوضًا وإنما حملهم على هذا أنهم لا يحقرون ما جاوز ثلاثة أحرف إلا على زنته وحاله لو كسروه للجمع إلا أن نظير حرف اللين الثالث الذي في الجمع الياء في التصغير، وأول التصغير مضموم، وأول الجمع مفتوح، فالتصغير والجمع بمنزلة واحدة في هذه الأسماء... وإنما منعهم أن يقولوا: سُفَيْرِجلٌ أنهم لو كسروه لم يقولوا: سَفَارِجلُ.... وهذا قول يونس.

---

(١) شرح الكافية ٨/٢، ثلاث من مسائل الكتاب: ١٠٨، ١٠٩.

(٢) الكتاب: ٢٦٢/١، ٢٦٣ وهامشه.

وقال الخليل: لو كنت محقرًا هذه الأسماء لا أحذف منها شيئًا- كما قال بعض النحويين ــ لقلت سُفَيْرِجْلٌ ــ كما ترى ــ حتى يصير بزنة دنينير فهذا أقرب وإن لم يكن من كلام العرب" (١).

وقد انتشر رأي يونس هذا وكانت له الغلبة في كتب النحو بعد أن ارتضاه سيبويه (٢).

وقد فضل قول يونس على قول الخليل وحكم على قول يونس بالقوه في قوله: "وسألت الخليل عن القاضي في النداء فقال: أختار يا قاضي، لأنه ليس بمنون، كما أختارُ هذا القاضي.

وأما يونس فقال: يا قاضْ، وقول يونس أقوى، لأنه لمّا كان من كلامهم أن يحذفوا في غير النداء كانوافي النداء أجدَر، لأن النداء موضع حذف، يحذفون التنوين ويقولون: يا حارِ، ويا صاحِ ويا غلامُ أقبل" (٣).

ــ ومن العلماء من يختار قول الخليل وحجته أن المنادى المعرفة لا يدخله تنوين في وقف ولا وصل، والذي يُسْقط الياء هو التنوين فوجب أن تثبت الياء لأنها لام الفعل كما تثبت غيرها من سائر الحروف (٤).

وكثيرًا ما كان سيبويه يستحسن قول شيخه يونس. فعلى سبيل المثال: ما جاء في باب جمع الأسماء المضافة حيث قال: " وإذا جمعت أبا زيد قلت: آباءُ زيدٍ، ولا تقول: أبُو زَيْدِين؛ والوجه أن تقول: آباءُ زيدٍ وهو قول يونس وهو أحسن من آباء الزّيدين"(٥).

وفي باب "إذن" يقول سيبويه: وتقول: "إن تأتني آتِك وإذَنْ أُكْرِمْك، إذا جعلت الكلام على أوله ولم تقطعه، وعطفته على الأول. وإن جعلته مستقبلاً نصبت، وإن

---

(١) الكتاب: ٣/٤١٧، ٤١٨.
(٢) يونس بن حبيب د./ حسين نصار ١٤٦.
(٣) الكتاب: ٤/١٨٤.
(٤) شرح الشافية: ٢/٣٠١ والنكت للأعلم ٢/١١٠٩.
(٥) الكتاب ٣/٤٠٩، النكت للأعلم/٩١٣.

شئت رفعته على قول من ألغى. وهذا قول يونس وهو حَسَن؛ لأنك إذا قطعته من الأول فهو بمنزلة قولك: فإذن أفعلُ، إذا كنت مجيبًا رجلاً[1].

مما سبق يتبين أن سيبويه استطاع من خلال كتابه أن يظهر جهود شيخه يونس بن حبيب النحوية والصرفية وأن شخصيته تأتي من خلال الكتاب في الدرجة الثانية بعد شخصية الخليل بن أحمد وكثيرًا ما كان يقترن اسماهما في رواية أو رأي، وفي هذا رد آخر على ما ذكره أ.د/ شوقي ضيف من "أن يونس لم يكن له دور في علم النحو قائلاً: "وعلى هذا النحو وقع يونس بعيدًا عن تطور نظرية النحو على شاكلة ما انتهت إليه في الكتاب عند سيبويه، والنحاة الذين يوضعون بحق في تطورها هم ابن أبي اسحاق وعيسى بن عمر، ثم الخليل بن أحمد وسيبويه" [2].

وأتفق مع من قال [3] "ومع أن يونس ذو شخصية واضحة بارزة تمثل في معظم صفحات الكتاب وتتلازم مع الخليل في مواضع عدة إلا أن هذه الشخصية لا تأخذ المكانة التي تستحقها في معظم كتب النحاة المتأخرين بينما تظهر شخصية الأخفش والمازني والجرمي وابن السراج والزجاج بشكل أوضح وأبرز مع أن فرقًا كبيرًا بين هذا وهؤلاء.

لابد أن يعتريك التساؤل والاستغراب حين تجد أن يونس لا يذكر في شرح ابن عقيل أو شرح المفصل وحاشية الصبان أو شرح الأشموني أو مغني اللبيب أو شرح التصريح أكثر من ثلاثين مرة... مع أنه ذكر في كتاب سيبويه زهاء مائتي[4] مرة، وهو قدر يلي في عدده قدر ما روى عن الخليل [5].

---

(١) الكتاب ١٥/٣، يونس بن حبيب، د. أحمد مكي الأنصاري . موقع المكتبة الإسلامية الشاملة.

(٢) المدارس النحوية ص ٢٩.

(٣) د./ محمود حسني محمود في موقف من يونس بن حبيب موقع مجمع اللغة الأردني ــ الجامعة الأردنية بتصرف.

(٤) منها: ج١/٥١- ١٢٠- ١٥٥- ٢٣٨ -٢٥٩- ٢٦٢- ٢٧٨- ٢٩٢- ٣٤٧- ٣٥١- ٣٦٤- ٣٧٧- ٣٧٨- ٣٨٧- ٣٨٩- ٤٠٩- ٤١٦- ٤٢٣- ٤٢٨- ٤٣٣- ٤٣٥ -، ج٣/ ١٦- ٤٠- ٥١- ٧٩- ١٠١- -١١٩- ١٣٥- ١٤٠- -١٤٢- ١٤٩- ١٩٧- ١٩٩- ٢٠٦- ٢١٧- ٢٢١- ٢٤٩... الخ فقد ذكر في الجزء الثالث أكثر من سبعين مرة.

(٥) سيبويه إمام النحاة: ص ٩٤.

وربما يكون هذا هو الذي دعا أ.د/ شوقي ضيف إلى قوله السابق، ولو عاد أ.د/ شوقي ضيف إلى كتاب سيبويه الذي يعده الثمرة الناضجة لتطور نظرية النحو وتتبع مساهمة يونس فيها لكان له موقف آخر مختلف، وكذلك لقد ثبت أنه شارك مع الخليل في وضع أبواب كاملة كالنداء والتصغير والحكاية والندبة والاستثناء (١).

وقد صرح سيبويه بذلك فقال: "وجميع ما ذكرت لك في هذا الباب وما أذكر لك في الباب الذي يليه قول يونس" وقال أيضًا: "وجميع ما ذكرت لك في جميع ذا قول يونس" وقال: "وجميع ما وصفنا من هذه اللغات سمعناه من الخليل رحمه الله ويونس عن العرب" (٢).

فكيف يقع هذا العالم بعيدًا عن تطور نظرية النحو؟! ولماذا نبخسه حقه؟!

ولعل عدم وضوح شخصية يونس وإنصافها وإعطائها ما تستحقه من حق ضائع يعود إلى سببين في نظر بعض الباحثين.

السبب الأول: هو الطريقة التي كان سيبويه يتبعها في ذكر يونس وروايته إذ كانت تؤدي إلى اللبس والتضليل، بحيث يصعب على الباحث أن يميز بين ما هو رواية محضة وما هو رواية ورأي في آن واحد فترك المتأخرون البحث في هذا الأمر.ولجأوا إلى الحل السهل وهو أن ينظروا إلى كل ما رواه يونس على أنه رواية محضة، وأن ينظروا إلى الرأي الذي بنى على ما رواه يونس على أنه رأي لسيبويه (٣).

ولكن ما سبق من عرض سيبويه لأسئلة شيخه يونس والجواب عليها ومن الموازنة بينه وبين معاصره الخليل بن أحمد يبين حسن عرض سيبويه لآراء شيخه

---

(١) الكتاب: ١٨٤/٢، ١٨٥، ٢١٢، ٢١٣. والتصغير والحكاية: ٤١٣/٢، ٤١٤، ١٤٢/٣، الندبة: ٢٢١/٢، ٢٢٦، ٢٢٧ والاستثناء: ٣١٩/٢، ٣٣٧، ٣٣٨، ٣٤٤.

(٢) الكتاب: ٤٢٢/٣، ٤٢٣، ٢١٣/٢، ٢١٤.

(٣) موقف من يونس د./ محمود حسني موقع مجمع اللغة الأردني.

يونس وتوضيحها سواء قبلها أوردها والسبب في هذا ما وقع فيه السيرافي أشهر شراح الكتاب في حيرة حين اعترضه قول سيبويه عن يونس في باب الندبة: "وأما يونس فيلحق الصفة الألف فيقول: "وازيدُ الظريفاه واجُمْجُمَتَيّ الشاميّتيناهْ" (١) وزعم الخليل رحمه الله أن هذا خطأ".

قال السيرافي "ندبة الصفة قول يونس والكوفيين والذي حكاه سيبويه عن يونس لست أدري: إلحاق علامة الندبة له من قياس يونس، أو مما حكاه عن العرب فنحتج له به.

وقد احتج الخليل لبطلان ندبة الصفة ببطلان ندبة الخبر، لأن الخبر والصفة جميعًا خارجان عن النداء فقد اتفقا في خروجهما وإن اختلفا في المعنى وإنما الندبة للمنادى ولا تدخل في غيره فما كان خارجًا عن النداء فالندبة مفارقة له وقد رد المحتج ليونس والكوفيين على الخليل بأنه ليس الخبر مثل الصفة فلذلك لم يجز: أنت الفارس البطلاه لأن الخبر منقطع عن المندوب والصفة من تمامه" (٢).

والحق أن التقصير قد يأتي من القارئ لا من سيبويه وطريقة عرضه لأقوال يونس بن حبيب فسيبويه ــ جزاه الله عن العربية وأهلها خيرًا أن حفظ لنا في كتابه هذا السيل من الأقوال عن شيوخه رحمهم الله جميعًا وحرص على نقلها وألا يفوته شيء منها ومن يرجع إلى الكتاب في أي موطن ويتمعن في أسلوبه وطريقته يجد خيرًا كثيرًا في هذا الجانب.

السبب الثاني: في عدم وضوح شخصية يونس وإنصافها وإعطائها ما تستحقه أن النحاة المتأخرين وزعوا الكثير من آرائه التي صرح بها على أولئك

---

(١) يقال إن الجمجمة هي القدح وأن إنسانا ضاعت له قد حان فندبهما... وقد يجوز أن تكون جمجمتي الشاميتيناه من جماجم العرب ويعني سادتهم ورؤساءهم" هامش الكتاب: ٢/٢٢٦، شرح كتاب سيبويه للسيرافي موقع أم القرى.

(٢) الكتاب: ٢/٢٢٦، والنكت للأعلم ١/٥٦٦، المقتضب: ٤/٢٧٥، أسرار العربية/ ٢٤٥

النحاة الذين وافقوه فيها فنسبوا بعضها إلى سيبويه وبعضها إلى البصريين تعميمًا وبعضها إلى الكوفيين.

فمما نسب إلى سيبويه وهو ليونس والخليل حكم الاسم المضاف في المنادي حينما يكرر قال سيبويه: "هذا باب يكرر فيه الاسم في حال الإضافة ويكون الأول بمنزلة الآخر وذلك قولك: "يا زيدَ ريدَ عمرو، ويا زيدَ زيدَ أخينا ويا زيدَ زيدنا" زعم الخليل رحمه الله ويونس أن هذا كله سواء وهي لغة للعرب جيدة"(١).

وهذا الرأي واضح أنه ليونس والخليل وليس لسيبويه فيه إلا التوضيح وقد نسب هذا الرأي إلى سيبويه بعض النحويين منهم: ابن عقيل حيث قال: " وإن نُصب الأول: فمذهب سيبويه أنه مضاف إلى ما بعد الاسم الثاني وأن الثاني مقحم بين المضاف والمضاف إليه" (٢).

ومما نسب إليه أيضًا رأي يونس والخليل في إعراب الضمير بعد لولا قال سيبويه: "هذا باب ما يكون مضمرًا فيه الاسم متحولاً عن حاله إذا أظهر بعده الاسم وذلك لولاك ولولاي إذا أضمرت الاسم فيه جُرَ وإذا أظهرت رُفع ولو جاء علامة الإضمار على القياس لقلت: لولا أنت كما قال سبحانه: ﴿لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ﴾(٣). ولكنهم جعلوه مضمرًا مجرورًا، والدليل على ذلك أن الياء والكاف لا تكونان علامة مضمر مرفوع قال الشاعر يزيد بن الحكم.

وَكَمْ مَوْطِنٍ لولاي طِحْتَ كما هوى بِأَجْرَامِهِ من قُلَّةِ النِّيقِ مُنْهَوِي(٤)

---

(١) الكتاب: ٢/٢٠٥.

(٢) شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك: ٢/٢٤٨، ٢٤٩.

(٣) سورة سبأ آية:٣١.

(٤) البيت بن الطويل وهو في الخصائص ٢/٢٥٩ والمنصف: ١/٧٢ وابن يعيش ٣/١١٨، ٩: ٢٣، وشرح ابن عقيل: ٢/١٢ والأشموني ٢/٢٠٦ يعاتب أخاه أو ابن عمه وكم لإنشاء التكثير، خبرها تقديره: لي والموطن: الموقف من مواقف الحرب ــ طاح يطوح ويطيح ــ هلك الأجرام جمع جرم وهو الجسد النيق:

وهذا قول الخليل رحمه الله "ويونس" (١).

والرأي في هذا الموضع صريح أنه ليونس والخليل وقد نسبه إلى سيبويه كل من المبرد وابن عقيل والرضي ونسبه ابن هشام إلى سيبويه والجمهور.

قال المبرد: "أما قوله : لولاك فإن سيبويه يزعم أن (لولا) تخفض المضمر، ويرتفع بعدها الظاهر بالابتداء....".

وقال ابن عقيل: " ومذهب سيبويه أنها من حروف الجر لكن لا تجر إلا المضمر فتقول: " لولاي ولولاك ولولاه" فالياء والكاف والهاء عند سيبويه مجرورات بـ لولا".

وقال ابن هشام: قال سيبويه: والجمهور هي جارة للضمير مختصة به(٢).

وكان أبو العباس المبرد ينكر لولاي ولولاك.

ويزعم أنه خطأ لم يأت عن ثقة، وأن الذي استغواهم بيت الثقفي، وأن قصيدته فيها خطأ كثير. قال السيرافي: ما كان لأبي العباس أن يسقط الاستشهاد بشعر رجل من العرب قد روى قصيدته النحويون وغيرهم واستشهدوا بهذا البيت وغيره من القصيدة، ولا أن ينكر ما أجمع الجماعة على روايته عن العرب. ثم اختلف النحويون بعد في موضع الياء والكاف. فقال سيبويه: موضعه جر، وحكاه عن الخليل ويونس وقال الأخفش، وهو قول الفراء أيضًا: الكاف والياء في إليك ولولاك ولولاي في موضع رفع بالابتداء" (٣).

أعلى الجبل. والجملة وصف لموطن سدت مسد جواب لولا عند من يجعلها على بابها والشاهد فيه الإتيان بضمير الخفض بعد لولا، وهي من حروف الابتداء ووجه ذلك أن المبتدأ بعد لولا لا يذكر خبره، فأشبه المجرور في انفراده والأكثر أن يقال لولا أنت هامش الكتاب ٣٧٤/٢.

(١) الكتاب ٣٧٣/٢، ٣٧٤.

(٢) هامش المقتضب: ٧٣/٣، والكامل: ٤٨/٨، ٤٩، شرح ابن عقيل ١٠/٢، ١١ ، شرح الكافية: ٢٠/٢ ، مغني اللبيب٣٦١.

(٣) هامش الكتاب: ٣٧٤/٢، هامش المقتضب: ٧٣/٣، شرح ابن عقيل ١٠/٢: ١٢، وشرح المفصل: ١١٩/٣.

ومما نسب إليه أيضًا تفسير يونس لنصب المضارع بعد الفاء في قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً ﴾ [الحج: ٦٣].

يقول الرضي: "وللنصب معنيان عند سيبويه"، وكذلك نُسب إليه القول بأن ألف "أيم" في أيمُ الله موصولة(١).

بينما جاء ما ذكره سيبويه في هذا المعنى وهذا الرأي نقلاً عن شيخه يونس(٢).

ومما نسب إلى البصريين رأى يونس والخليل في ندبة النكرة قال سيبويه:

"هذا باب مالا يجوز أن يندب وذلك قولك: وارَجُلاه ويا رجلاه وزعم الخليل رحمه الله ويونس أنه قبيح وأنه لا يقال" (٣).

وقد نسب ابن الأنباري هذا الرأي إلى البصريين فطمس بذلك ذكر يونس، والخليل فقال: " وذهب الكوفيون إلى أنه يجوز ندبة النكرة، وذهب البصريون إلى أنه لا يجوز ذلك"(٤).

ومما نسب إلى الكوفيين رأى يونس في جواز إعادة الخافض وعدم إعادته في العطف على الضمير المجرور، وكان لزوم إعادة الجار مذهب البصريين ويجوز عندهم في ضرورة الشعر ترك الجار أشار سيبويه إلى ذلك وأنشد ما يؤيده(٥). وما أجازه يونس قد نسبه ابن عقيل في شرح الألفية للكوفيين(٦): فقال: "وأما الضمير المجرور فلا يُعطف عليه إلا بإعادة الجار له

---

(١) شرح الكافية: ٢٤٨/٢، ٣٣٧/٢.
(٢) الكتاب: ٤٠/٣، ٣٢٤، ثلاث من مسائل الكتاب: ١٦، البحث: ٢٧، ٢٨، ٨٢.
(٣) الكتاب ٢٢٧/٢.
(٤) الإنصاف: ٣٦٢/١، ٣٦٣ ط. المكتبة العصرية ١٩٩٣م.
(٥) الكتاب: ٣٨٢/٢، ٣٨٣، والنكت للأعلم: ٦٦٧/١، ٦٦٨.
(٦) يراجع معاني القرآن للفراء: ١٤١/١، ٢٩٠.

نحو: "مررت بكَ وبزيدٍ" ولا يجوز: "مررتُ بك وزيدٍ " هذا مذهب الجمهور وأجاز ذلك الكوفيون واختاره المصنف بقوله:

وعَوْد خافضٍ لـــدى عطـــفٍ علـــى ضمير خفـــضٍ لازمـــا قـــد جُعـــلا
وليس عندي لازمًـــا، إذ قـــد أَتَـــى في النثر والـــنَّظم الصـــحيح مُثبتًـــا[1]

وقال في شرح التسهيل [2]: "وإذا كان المعطوف عليه ضمير جر أعيد الجار كقوله تعـــالى: ﴿ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾ [فصـــلت:١١] وقولـــه: ﴿وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ﴾ [المؤمنون:٢٢] .

- وقوله ﴿ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ﴾ [الأنعام: ٦٤].

وإعادته مختارة لا واجبة وفاقًا ليونس والأخفش والكوفيين.. ومن مؤيدات الجواز قراءة حمزة [3] ﴿ تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامِ﴾ [النساء:١] بجر "الأرحام" عطفًا على الهاء المجرورة بالباء في (به) وحكاية قطـــرب ومـــا فيهـــا غيـــرُه وفَرَسِـــه"... والشواهد الشعرية كثيرة تقوي هذا المذهب وتؤيده [4].

* * *

وربما يكون ما حدث هو نتيجة عدم تأليف يونس بن حبيب كتابًا في النحو يجمع أقواله مما جعل العلماء ينسبون أقواله إلى غيره، ولكن مـــا نقلـــه عنـــه سيبويه ودونه في كتابه يبين إجلال سيبويه لهذا الرجل ومناقشة آرائه وترجيح ما رآه راجحًا وتضعيف ما رآه ضعيفًا واستنباط قواعد كثيـــرة اعتمـــادًا علـــى

(١) شرح بن عقيل: ٢١٩/٢، شرح الكافية ٣٢٠/١.
(٢) ٣٧٥/٣.
(٣) هي أيضًا قراءة ابن عباس والحسن وأبي رزين ومجاهـــد وقتـــادة والنخعـــي والأعمش ويحيى ابن وثاب، الكشف عن وجوه القراءات السبع لمكي بن أبـــي طالب: ٣٧٥/١، إتحاف فضلاء البشر : ١٨٥
(٤) شرح التسهيل: ٣٧٧/٣، النكت في تفسير كتـــاب ســـيبويه للأعلـــم: ٦٦٨/١، أوضح المسالك ٣٤٨/٣ الإنصاف: مسألة ٦٥. ٤٦٣/٢

سماعه العرب الموثوق بهم ــ فنقل عنه فأفاض وناقش فأجاد ووازن فبرع في الموازنة بين الأقوال وفاضل بينها فأظهر شخصية شيخه يونس وجهوده النحوية والصرفية واستنبط من أقواله فأفاد واستفاد وجاء بما لم يأت أحد به من قبله ألا وهو "الكتاب" الذي بيّن أن "يونس بن حبيب" أسهم بقدر كبير في تطور النحو من خلال كتاب سيبويه وأنه عنى بما كان لشيوخه من آراء لغوية ونحوية احتفظ بها ورواها لتلاميذه.

ثانيًا: يونس والخليل:

يعد الخليل بن أحمد الفراهيدي البصري – الذي ولد سنة مائة للهجرة وتوفي سنة مائة وخمس وسبعين – من العلماء الذين عاصروا يونس بن حبيب ولما توفى الخليل بن أحمد جاء كثير من طلاب العلم في حلقته إلى حلقة يونس وثبتوا فيها بعد أن كانوا يترددون بينها وبين حلقة الخليل.

وقد أشاد يونس بذكاء الخليل رحمه الله وهو زميله ومنافسه في ذلك الوقت علي رئاسة النحو في البصرة.

قال ابان بن رزين البصري: زعم يونس النحوي أن الخليل بن أحمد كان يستدل بالعربية علي سائر اللغات ذكاء منه وفطنة(١).

وهذا يدل علي أن يونس كان يعترف بالفضل لأهله مما يبين حسن خلقه وقد روى "سيبويه" عنهما في كتابه؛ حيث كان تلميذاً لهما فكان يروي عن شيخه الخليل كثيراً وكذلك روى عن شيخه يونس كثيراً، وكثيراً ما كان يقترن اسماهما في رواية أو رأي(٢) مما اتفقا عليه ويعده من القياس ومما لاً يختلف فيه العلماء الثقات.

فمن المواطن التي اتفقا فيها "نصب شاعراً" في قول الصَّلتان العبدي: يقول سيبويه: " وسألت الخليل رحمه الله ويونس عن نصب قول الصلتان العبدي:

---

(١) طبقات ابن المعتز:٩٧ .

(٢) الكتاب:٢/١٤، ٢١٤، ٢٢١، ٣٤٤ ، ٣/١٤٩-٢٨١-٣٩٦-٤١٨ -٤١٩- ٤٧٤، ٤/١٧٢ - ٤٤٣.

يا شـــاعرًا لا شـــاعرَ اليـــومَ مثلَـــهُ جريرٌ ولكـــن في كُلَيْـــبٍ تواضُـــعُ[1]

فزعما أنه غير منادى وإنما انتصب على إضمارٍ كأنه قال يا قائـــلَ الشـــعر شاعراً، وفيه معني حسبُك به شاعراً[2].

ومعني ذلك أن (شاعراً) عندهما ليس بمنادى لأنه مقصود به إلـــى واحـــد بعينه والمنادى إذا كان مقصوداً إليه تعرف والمنادى في البيت محذوف يجوز أن يكون هو الشاعر ويجوز أن يكون غيره.

قال الأعلم: ويجوز عندي أن يكون قوله شاعراً منادي جرى علـــي لفـــظ المنكور وإن كان مخصوصاً معروفاً، لوصفه بالجملة التـــي بعـــده، والجملـــة لا يوصف بها إلا النكرة [3].

* * *

كذلك اتفقا في أن النكرة لا يجوز أن تندب وفي ذلك يقول سيبويه: "هذا باب مالا يجوز أن يندب وذلك قولك: وارجلاه ويا رجلاه وزعم الخليل ويونس أنه قبيح وأنه لا يقال".

وعلل الخليل قائلاً: "إنما قبح لأنك أبهمت، ألا ترى أنك لو قلـــت واهـــذاه، كان قبيحاً لأنك إذا ندبت فإنما ينبغي لك أن تفجع بأعرف الأسماء، وأن تخص ولا

---

(١) البيت من الطويل وهو في الخزانة ٣٠٤/١ والكامل ٦٥٩ كان الصـــلتان قـــد دعي ليحكم بين الفرزدق وجرير ففضل جريراً في الشعر والفرزدق في الشرف والفضل والشاهد فيه " نصب شاعراً علي الاختصـــاص والتعجـــب والمنـــادى محذوف تقديره ياهؤلاء أو يا قوم، حسبكم به شاعراً. وإنمـــا امتنـــع أن يكـــون منادى لأنه نكرة عنده يدخل فيه كل شاعر بالحضرة، وهو إنما قصـــد شـــاعراً بعينه وهو جرير فلو كان منادى لبني علي الضم وقوله " جرير خبـــر لمبتـــدأ محذوف أي هو جرير الذي أتعجب منه. هامش الكتاب ٢٣٧/٢.

(٢) الكتاب: ٢٣٦/٢، ٢٣٧.

(٣) النكت للأعلم: ٥٧٢/١.

تبهم، لأن الندبة علي البيان .... ولو جاز هذا لجاز يا رجلاً ظريفاً فكنت نادباً نكرة"[١].

* * *

وقد اتفقا في صرف العلم علي وزن يتساوي فيه الاسم والفعل.

قال سيبويه: "زعم يونس أنك إذا سميت رجلاً بـ(ضارب) من قولك:

(ضارِبْ) وأنت تأمر فهو مصروف، وكذلك إن سميته (ضَارَب) وكذلك (ضَرَبَ) وهو قول أبي عمرو والخليل"[٢]

يذكر سيبويه في هذا النص ما سمي بفعل وزنه غالب في الأسماء نحو :(ضارِبْ) الذي هو أمر من (ضارَب) فتري كل اسم فاعل من الثلاثي بهذا الوزن. وما سمي بفعل وزنه مستوفي الأسماء والأفعال نحو (ضارَب) ماضي المفاعلة، و(ضَرَبَ) مبنياً للمعلوم و(دَحْرَجَ) كذلك فيقال في مثال منها: هذا دحرجٌ المؤمن و(مرت بدحرجٍ المؤمن)، وهكذا.

وقد أورد سيبويه في هذه المسألة رأيين: أولهما ليونس والخليل وأبي عمر وهو أنها مصروفة لخروجها عما يختص أو يغلب في الأفعال، فكأنها أسماء غير منقولة من الأفعال واختار سيبويه هذا الرأي.

والرأي الآخر لشيخه عيسى بن عمر الثقفي أن هذين الوزنين يؤثران المنع من الصرف وقد رد سيبويه هذا الرأي لأنه خلاف قول العرب[٣].

* * *

وفي باب ما يختار فيه الرفع ويكون فيه الوجه في جميع اللغات.

---

(١)الكتاب: ٢/٢٢٧ .

(٢) الكتاب:٣/٢٠٦.

(٣) يراجع الكتاب: ٣/٢٠٦، ٢٠٧- ثلاث من مسائل الكتاب أد/ أبو المجد عمارة ص١٥٥،١٥٦ بتصرف.

قال سيبويه: (وزعم يونس أنه قول أبي عمر، وذلك قولك: أما العبيدُ فذو عبيدٍ، وأما العبدُ فذو عبدٍ وأما عبدان فذو عبدين، وإنما اختير الرفع لأن ما ذكرت في هذا الباب أسماء والأسماء لا تجري مجرى المصادر...، وزعم يونس أن قوماً من العرب يقولون: أما العبيدَ فذو عبيدٍ وأما العبد فذو عبدٍ يُجرونه مُجرى المصدر سواء وهو قليل خبيث... وإنما وجهه وصوابه الرفع وهو قول العرب وأبي عمرو ويونس ولا أعلم الخليل خالفهما)[1].

هذا النص دليل بيِّن علي أن سيبويه كان يجيد عرض أقوال شيوخه بحيث لا يكتنفها لبس ولا غموض كما قيل عنه.

وقوله : "أما العبيدُ فذو عبيدٍ هو الوجه عنده وعند شيوخه أبي عمرو ويونس والخليل وهو موافق لقول العرب" لأن العبد ليس بمصدر فيقدر له فعل من لفظه ينصبه كما في المصادر، فوجب رفعه بالابتداء وما بعده يكون خبراً له، والعائد محذوف تقديره: أما العبيد فأنت منهم. أو فيهم، أو نحو هذا، ذو عبيد.

وذكر سيبويه عن يونس أن ناساً من العرب ينصبون هذا، فأبعد هذا الوجه وقبحه وأجازه على ضعفه إذا كان العبيد بغير أعيانهم ليلحق بالمصادر المبهمة.

وكان المبرد لا يجيز النصب ولا يجد له وجهاً، وكان "الزجاج" يتأول في نصب العبيد تقدير الملك، والملك مصدر، كأنه قال: أما ملك العبيد، كما تقول: أما ضرب زيد فأنا أضربه[2].

* * *

وقد نقل سيبويه عنهما أبواباً كالتصغير والحكاية وغيرهما [1] حيث قال: "وجميع ما ذكرنا قول يونس والخليل" .

---

(١) الكتاب: ٣٨٧/١، ٣٨٩باختصار.

(٢) المقتضب: ٢٧/٣، النكت في تفسير كتاب سيبويه للأعلم:٤١٢/١، هامش الكتاب:٣٨٩/١.

وقال في أبواب من النداء: "اعلم أن كل شيء ابتدأته في هذين البابين أولاً فهو في القياس وجميع ما وصفنا من هذه اللغات سمعناه من الخليل رحمه الله ويونس عند العرب"[٢] كذلك باب الندبة[٣] وباب الاستثناء.

* * *

وقد اختلف الخليل ويونس، كغيرهما من العلماء في العصر الواحد، ولكل منهما وجهة نظره واجتهاده.

ومن المواطن التي اختلفا فيها ما ذكره سيبويه في نصب قوله: "ألا رجلا" قائلاً: "وسألت الخليل عن قوله:

ألا رجلاً جزاه الله خيراً شعر يدل على مُحصلةٍ تبيت[٤]

فزعم أنه ليس على التمني، ولكنه بمنزلة قول الرجل: فهلا خيراً من ذلك كأنه قال:ألا تروني رجلاً جزاه الله خيراً وأما يونس فزعم أنه نون مضطراً.."[٥].

فقد اختلف الخليل ويونس في إعراب "ألا رجلاً" فيرى الخليل أن (ألا) في البيت للتحضيض ومدخولها فعل محذوف وهو الذي نصب "رجلاً" والتقدير: ألا تروني رجلاً،

---

(١) الكتاب: ٢/٤١٤،٤١٣، ٣/١٤٢، ٣/٤٢٦، ٤١٩، ٤٧٤، ٣/٤٢٢، ٤٢٣.
(٢) الكتاب: ٢/٢١٣، ٢١٤، ١٨٤، ١٨٥ .
(٣) الكتاب: ٢/٢٢١، ٢٢٦، ٢٢٧، ٢/٣٣٧، ٣٣٨، ٣٤٤ .
(٤) البيت من الوافر وقيل إنه لعمر بن قعاس أو قنعاس المرادي المذحجي وذكر في ابن يعيش: ٧/٥، ٩/٨٠، والخزانة: ١/٤٥٩: والمحصلة المرأة تحصل تراب المعدن وقال البغدادي هذا= =البيت وما بعده لأعرابي أراد أن يتزوج امرأة بمتعة وقيل:محصلة : اسم موضع يجمع الناس أي يحصلهم، والشاهد في: نصب رجل وتنوينه، لأن سيبويه حمله علي إضمار فعل وأن (ألا) حرف تحضيض والتقدير: ألا تروننى رجلاً ولو كانت للتمني لنصب ما بعدها بغير تنوين في مذهب الخليل وسيبويه. ويري يونس أنه منصوب بالتمني ونون ضرورة والأول أولي لأنه لا ضرورة فيه وحروف التحضيض مما يحسن بعدها إضمار الفعل.
(٥) الكتاب ٢/٣٠٨.

ولو كانت للتمني لنصب ما بعدها، واستحسن "الأعلم" هذا الرأي وقال: وهذا قول الحسن لأنه حذف لعلم السامع والمعنى دال عليه(١).

ورأى يونس أنها للتمني وتعمل عمل (إنَّ) وتنوين اسمها للضرورة واختار سيبويه كلام الخليل لأنه لا ضرورة فيه.

* * *

وفي باب ما ينتصب أنه حال يقع فيه الأمر وهو اسم تحدث سيبويه عن خلاف يونس والخليل في نصب (وحده) في قولهم: مررت به وحده فقال سيبويه: "وزعم يونس أن وحده بمنزلة عنده.. وجعل يونس نصب وحده كأنك قلت: مررت برجل علي حياله فطرحت "على" فمن ثَّم قال: هو مثلُ عندَه وهو عند الخليل كقولك: مررت به خصوصاً." (٢).

فبين سيبويه أن مذهب يونس في "مررت به وحده" أن ينصبه نصب الظرف كقولك: هو عنده، والمعنى: مررت به على حياله.

ومذهب الخليل أن ينصبه نصب المصدر كقولك: مررت به خصوصاً، وإنما حمله يونس علي جهة الظرف لأنه رأى "وحده" في هذا الموضع ناقص التمكن كنقصان تمكن "عنده" وهو نصب كما أنه نصب، وتلزمه الإضافة كما تلزمه، وفيه معنى(علي حياله) فحمله علي جهة الظرف لهذه العلة.

وقول الخليل أقوى واختاره سيبويه، لأن وحده أشبه بالمصدر في معناه وحمله عليه أولى لكثرة نظيره من المصادر وظهور معني الاختصاص فيه (٣).

هذا بالإضافة إلي نماذج من الموازنات التي عقدها سيبويه بين يونس والخليل ووضحت شخصية يونس في الكتاب وأنها تسير بجانب شخصية الخليل في أغلب أبواب الكتاب.

---

(١) االنكت للأعلم ٦١٣/١، شرح المفصل: ١٠٢/٢، مغني اللبيب: ٩٨ .
(٢)الكتاب: ٣٧٧/١، ٣٧٨ .
(٣)المسألة في: المقتضب: ٢٣٩/٣، شرح جمل الزجاجي: ١٦٢/٢، والنكت للأعلم: ٤٠٣/١، شرح المفصل: ٦٣/٢، هامش الكتاب: ٣٧٨/١ .

ثالثًا: آراؤه في تفسير القرآن الكريم وقراءاته:

برع يونس بن حبيب بين المفسرين وتُرجم له في طبقاتهم(١)، ولا سيما وقد ألف كتابا أسماه "معاني القرآن" ولعله في تأليفه هذا الكتاب هو الذي أوحى إلى تلامذته أبي عبيدة والأخفش والفراء وإلى من جاء بعدهم أن يسلكوا مسلكه ويؤلفوا كتبا في مجاز القرآن الكريم ومعانيه وإعرابه.

وله آراء تفسيرية انفرد بها وتناقلتها عنه الكتب من بعده، وقد تأثرت تلك الآراء التفسيرية بما لديه من ثقافة واسعة في علوم العربية وغيرها ، فنجد الصبغة النحوية واللغوية تغلب على تلك الآراء التفسيرية ، كذلك يستشهد على بعض الآراء بما لديه من أقوال سمعها عن العرب.

ففي قوله تعالى: ﴿يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ﴾ [الشورى: ٤٥].

نسب الأخفش(٢) إلى يونس بن حبيب أنه جعل (من) في الآية بمعنى الباء أي: ينظرون بطرف كما تقول العرب: ضربته من السيف أي بالسيف.

وفي تفسيره هذا دليل على أن البصريين أجازوا إنابة حروف الخفض عن بعضها، ولم ينفرد به الكوفيون(٣).

ومما جاء في كتاب سيبويه قوله: " وأما قوله جل ثناؤه: ﴿وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجْوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ [الأنبياء:٣]. فإنما يجيء على البدل، وكأنه قال: انطلقوا فقيل له:

---

(١) طبقات المفسرين لمحمد بن علي بن أحمد الداوودي ت علي محمد عمر مطبعة الاستقلال الكبرى ١٩٧٢م – موقع المكتبة الشاملة.

(٢) معاني القرآن للأخفش: ٦٨٧/٢، شرح التسهيل لابن مالك: ١٣٧/٣، مغني اللبيب: ٤٢٣، الجني الداني: ٣١٤، البرهان في علوم القرآن للزركشي: ٤٢٠/٤..

(٣) يراجع التقارض النحوي ومظاهره في الأساليب العربية للباحثة: ص ٤٥٥، ٤٨٩ – مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالمنصورة العدد الحادي والعشرون.

مَنْ؟ فقال: بنو فلان فقوله عز وجل: ﴿وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجْوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ على هذا فيما زعم يونس"(١).

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ...﴾ [محمد:١٥]. ذكر أبو جعفر النحاس(٢)، في معناه أقوالاً منها: قال محمد بن يزيد: قال سيبويه(٣): أي فيما يتلى عليكم ويقصُّ عليكم مَثَل الجنة، وقال يونس: مَثَلُ بمعنى صفة ومثله فيما ذكرناه ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ أَعْمَـٰلُهُمْ كَرَمَادٍ﴾ [إبراهيم: ١٨]. قال محمد بن يزيد وكلا القولين حسن جميل...."

- وفي معنى كلمة "مولى" من قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَأَنَّ ٱلْكَـٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ﴾ [محمد: ١١].

يقول الزجاج بعد ذكر الآية: "أي بأن الله ولي الذين آمنوا يتولاهم في جميع أمورهم في هدايتهم والنصر على عدوهم"(٤).

وقال النحاس: "ومعروف في اللغة أن المولى الوليُّ ويبين ذلك ما حدثناه عليّ بن سليمان عن أبي سعيد السكري عن يونس عن محمد بن المستنير قال: إن سأل سائل عن قول الله عز وجل: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى... الآية﴾ فقال الله عز وجل مولى كل أحد فكيف قال عز وجل: وأن الكافرين لا مولى لهم؟ فالجواب أن المولى ههنا الولي وليس الله جل وعز ولي الكافرين وأنشد(٥).

---

(١) الكتاب: ٢/٤١.
(٢) إعراب القرآن للنحاس: ٤/١٨٣.
(٣) الكتاب: ١/ ٧١.
(٤) معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٥/٨.
(٥) البيت للبيد بن ربيعة شرح ديوانه ٣١١، وهو من الكامل وورد في الكتاب ١/٤٠٧، وشرح القصائد السبع الطوال ٥٦٥، شرح المفصل: ٢/٤٤ يصف بقرة أضلت ولدها أو أوجست خيفة من صائد فهي حذرة من خوف، تخال كلا طريقيها من خلفها وأمامها ثغرة له يسلك منها إليها والفرج موضع المخافة

فَغَدَت كِلا الفَـرجَينِ تَحسَـبُ أَنَّـهُ مَـولى المَخافَـةِ خَلفُهـا وَأَمامُهـا

أي: ولي المخافة"[1].

وسُئل يونس عن قوله تعالى: ﴿نَسْيًا [2] مَّنسِيًّا﴾ [مريم:٢٣].

فقال: "تقول العرب إذا ارتحلوا عن المنزل ينزلونه: انظروا أنساءكم وهي العصا، والقدح والشظاظ[3] والحَبْل قال: فقلت: إني ظننت هذه الأشياء لا ينساها أربابها إلا لأنها أهون المتاع عليهم. قال: ليس ذلك كذلك، المتاع الجافي يذكِّر بنفسه ، وصغار المتاع تذهب عنها العيون... وقال يونس: المنسيُّ ما تقادم العهد به ونُسي حينا لهوانه ولم تكن مريم لتضرب المثل في هذا الموضع بالأشياء النفيسة التي الحاجة إليها أعظم من الحاجة إلى الشيء الثمين في الأسواق"[4].

وسئل كذلك عن قوله تعالى: ﴿وَلِي فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَىٰ﴾ [طه:١٨].

قال: لستُ أحيط بجميع مآرب موسى -عليه السلام- ولكني سأنبئكم جملا تدخل في باب الحاجة إلى العصا من ذلك: أنها تُحمل للحيّة والعقرب، وللذئب، وللفحل الهائج... ويتوكأ عليها الكبير الدالف، والسَّقيم المدنَف، والأقطع الرِّجل، والأعرج، فإنها تقوم مقام رِجلٍ أخرى..." [5].

وأورد ابن الأنباري[6] في تفسير قوله تعالى: ﴿وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [القصص:٨٢].

ومولى المخافة يعني أنه الجانب للخوف والمسبب له، وجعل الفرج مثنى لأنه عني موضعي خوفها من الأمام ومن الخلف.

(١) إعراب القرآن للنحاس: ١٨٢/٤.

(٢) قرأ حفص وحمزة بفتح النون والباقون بكسرها. إتحاف فضلاء البشر: ٢٩٩.

(٣) هو العود الذي يدخل في عروة الجوالق.

(٤) البيان والتبيين للجاحظ: ٦٥/٣.

(٥) البيان والتبيين للجاحظ: ٦٧/٣.

(٦) شرح القصائد السبع الطوال: ٣٥٩.

عن يعقوب بن السكيت أن محمد بن سلام الجمحي أنشد هذا البيت[1]:

ويك أن من يكن له نَشَبٌ يُحْبَبْ ومَنْ يَفتقِرْ يَعِشْ عَيْش ضُرِّ

عن يونس وقال: معناه ألم تر".

فـ " ويك أن" في الآية الكريمة بمعنى: "ألم تر" عند يونس.

وقد ذكر سيبويه هذا المعنى في الآية[2] ونسبه للمفسرين قائلاً: "وأما المفسرون فقالوا: ألم تر أنّ الله " وأنشد البيت السابق"[3].

وروى عنه محمد بن سلام قال: "سمعت يونس النحوي يقول في قوله جل وعلا: ﴿فَٱلۡيَوۡمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ﴾ [يونس:٩٢]. ننجيك: نجعلك على نجوة من الأرض وهي المكان المرتفع. ببدنك: بدرعك"[4].

وكان له آراء انفرد بها في القراءات القرآنية وعلل لها العلماء من بعده. منها ما ذكره أبو جعفر النحاس في قوله تعالى: ﴿قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ﴾ [الأنعام: ١٦٢].

حيث قال: " وقرأ أهل المدينة: (ومحياي) بإسكان الياء في الإدراج وهذا لم يجزه أحد من النحويين إلا يونس؛ لأنه جمع بين ساكنين، وإنما أجازه يونس؛ لأن قبله ألفًا والألف المد التي فيها تقوم مقام الحركة وأجاز يونس "اضربان زيدًا" وإنما منع

---

(١) البيت لزيد بن عمرو بن نفيل والنشب: المال وهو من بحر الخفيف وذكر في الكتاب ١٥٥/٢ "ويْ كأنْ".

(٢) في (ويكأن) ثلاثة أقوال: أحدها قول الخليل: تكون (وي) كلمة تندم يقولها المتندم ويقولها المتندم لغيره، ومعنى كأن التحقيق ، الثاني: قول الفراء تكون ويك موصولة بالكاف وأن منفصلة ومعناها عنده تقرير، كقولك: أما ترى، والقول الثالث: يذهب إلى أن ويك بمعنى ويلك وأن مفتوحة بفعل مضمر كأنه قال: ويلك أعلم أن الله . هامش الكتاب ١٥٤/٢.

(٣) الكتاب: ١٥٤/٢، معاني القرآن للفراء: ٣١٢/٢، معاني القرآن للأخفش: ٦٥٤، معاني القرآن وإعرابه للزجاج ١٥٦/٤، ١٥٧.

(٤) ذيل الأمالي والنوادر ١٨، يونس بن حبيب د. حسين نصار ص ٥٨.

النحويون هذا؛ لأنه جمع بين ساكنين وليس في الثاني إدغام، ومن قرأ بقراءة أهل المدينة وأراد أن يسلم من اللحن وقف على "محياي" فيكون غير لاحن عند جميع النحويين"[1].

وفي توجيه قراءة نافع[2]. في قوله تعالى: ﴿۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ﴾ [الشورى: ٥١]. برفع " يرسلُ" وسكون " يوحيْ"، ذكر العلماء رأيا ليونس في توجه الرفع وأنه يرفعه على الابتداء على معنى أو هو يرسلُ رسولاً.

وفي ذلك يقول سيبويه: " وبلغنا أن أهل المدينة يرفعون هذه الآية: ﴿۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ﴾ فكأنه والله أعلم قال عز وجل: لا يكلم الله البشر إلا وحيا أو يرسلُ رسولاً، أي في هذه الحال وهذا كلامُه إيَّاهم كما تقول العرب: تحيتك الضرب وعتابك السيفُ.. وسألت الخليل عن قول الأعشى:

إنْ تركَبُوا فَرُكُوبُ الخيلِ عَادَتُنَا أَو تَنزِلونَ فَإِنَّا مَعشَرٌ نُزُلُ[3]

---

(١) إعراب القرآن للنحاس: ١١١/٢، معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٣١١/٢، والقراءة بإسكان الياء عن نافع وأبي جعفر وأسكنها قالون. الكشف عن وجوه القراءات السبع ٤٥٩/١، اتحاف فضلاء البشر/ ٢٢١

(٢) هي قراءة نافع المدنيّ وابن ذكوان وهي قراءة أهل المدينة- يراجع: اتحاف فضلاء البشر: ٣٨٤، معاني القرآن للفراء: ٢٦/٣.

(٣) البيت من بحر البسيط. وهو في ديوان الأعشى ٤٨، والكتاب ٥١/٣، والخزانة ٦١٢/٣، نُزُل: جمع نازل، وكانوا ينزلون عن الخيل عند ضيق المعركة فيقاتلون على أقدامهم ، والشاهد فيه رفع "تنزلون" عطفا على معنى "إن تركبوا"، وهو من باب العطف على المعنى؛ لأن معناه أتركبون فذلك عادتنا، أو تنزلون في معظم الحرب فنحن معروفون بذلك وهذا مذهب الخليل، وحمله يونس على القطع والتقدير عنده: أو أنتم تنزلون وهذا أسهل في اللفظ والأولى أصح في المعنى والنظم. هامش الكتاب ٥١/٣.

فقال: الكلام هاهنا على قولك يكون كذا ويكون كذا، لما كان موضعها لو قال فيه: أتركبون لم ينقض المعنى صار بمنزلة قولك: ولا سابقٍ شيئًا[1].

وأما يونس فقال: أرفعه على الابتداء، كأنه قال: أو أنتم نازلون، وعلى هذا الوجه فُسّر الرفع في الآية كأنه قال: أو هو يُرسل رسولاً كما قال طرفة:

وَلَكِنَّ مَولايَ اِمرُؤٌ هُوَ خانِقي
عَلى الشُكرِ وَالتَسآلِ أَو أَنا مُفتَدِي[2]

وقول يونس أسهل"[3].

فهذا النص يبين أن الخليل يرى أنه عطف على توهم حذف حرف الشرط "إنْ" في البيت على معنى: أتنزلون أو تركبون، وجعل سيبويه الإشراك على هذا التوهم بعيد كبعد "ولا سابقٍ شيئًا" يعني بُعد عطف أو تنزلون على توهم أتركبون كبعد عطف (سابق) على توهم تقدير حرف الجر الزائد في (مدرك) في قول زهير:

بَدا لِيَ أَنّي لَستُ مُدرِكَ ما مَضى وَلا سابِقٍ شَيئاً إِذا كانَ جائِيا

وعند يونس: أنه يرفعه على الابتداء على تقدير: أو أنتم نازلون فيجعل (أو) ابتدائية وما بعدها مقطوع لا معطوف على ما قبلها، فجملة " تنزلون" مستأنفة ولذا يفسرها بعبارة: أنتم تنزلون.

وذكر الأعلم[4] قولاً ثالثًا وقال: هو أسهل من هذين القولين وهو أن تقدر في موضع "إن تركبوا" إذا تركبون؛ لأن (إنْ وإذا) متقاربتان في المعنى وإن

---

(١) من قول زهير: بدا لي أني لست مدرك ما مضى ، ولا سابق شيئًا إذا كان جائيا.

(٢) البيت من معلقة طرفة وندر من استشهد به وكان ابن عم لطرفة يعيره بسؤال الملوك ومدحهم فقال له هذا، والمولى: ابن العم، والشاهد فيه: القطع في "أو أنا مفتدى" ليكون ذلك مثالا للقطع.

(٣) الكتاب: ٣/٤٩، ٥٠، ٥١.

(٤) النكت للأعلم: ١/٧٢٣، ٧٢٤.

اختلف عملهما، فإذا قدرنا إن تركبوا بمعنى إذا تركبون عطفنا أو تنزلون عليه في التقدير.

وفي باب ما ينتصب على التعظيم والمدح قال سيبويه: " وسمعنا بعض العرب يقول: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾[1]. فسألت عنها يونس فزعم أنها عربية"[2].

- ويتحدث يونس عن قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيۡنَٰهُمۡ﴾ [فصلت: ١٧].

ويوجه قراءة النصب فيها " وأما ثمودا" على إضمار فعل على حد: زيدًا ضربته[3].

ويعلق الفراء على هذا قائلاً: " وكان الحسن يقرأ: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيۡنَٰهُمۡ﴾ ينصب وهو وجه والرفع أجود منه ؛ لأن أمَّا تطلب الأسماء وتمتنع من الأفعال فهي بمنزلة الصلة للاسم، ولو كانت أمَّا حرفا يلي الاسم إذا شئت والفعل إذا شئت كان الرفع والنصب معتدلين مثل قوله: ﴿وَٱلۡقَمَرَ قَدَّرۡنَٰهُ مَنَازِلَ﴾ [يس:٣٩] ألا ترى أن الواو تكون مع الفعل ومع الاسم؟... ومن أجاز النصب وهو يرى هذه العلة فإنه يقول: خلقةُ ما نصب الأسماء أن يسبقها لا أن تسبقه وكل صواب"[4].

وفي توجيه القراءات في قوله تعالى: ﴿لَئِن رَّجَعۡنَآ إِلَى ٱلۡمَدِينَةِ لَيُخۡرِجَنَّ ٱلۡأَعَزُّ مِنۡهَا ٱلۡأَذَلَّۚ﴾. [المنافقون:٨].

---

(١) قرأ بالنصب زيد بن علي وطائفة كما في تفسير البحر المحيط ١٩/١.
(٢) الكتاب: ٦٣/٢.
(٣) إعراب القرآن للنحاس: ٥٥/٤.
(٤) معاني القرآن للفراء: ١٤/٣.

قال الفراء: "ويجوز في القراءة: ﴿لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ﴾[1]. كأنك قلت: ليخرجن العزيز منها ذليلاً، وقرأ بعضهم : لنُخرِجَن الأعزَّ منها الأذلَّ[2]. أي لنخرجن الأعز في نفسه ذليلاً"[3].

فوجه الفراء القراءات في هذه الآية على نصب الأذل على الحال وفيه الألف واللام وهو في ذلك مؤيد لشيخه يونس

قال أبو جعفر: " وأكثر النحويين لا يجيز أن تكون الحال بالألف واللام غير أن يونس أجاز: مررت به المسكين[4]. وفي ذلك يقول سيبويه: " وأما يونس فيقول: مررت به المسكين على قوله: مررت به مسكينا وهذا لا يجوز؛لأنه لا ينبغي أن يجعله حالاً ويدخل فيه الألف واللام"[5].

* * *

فهذا يدل على أن ليونس بن حبيب باعا في توجيه القراءات القرآنية والتماس الوجه المناسب لها من العربية، وقد فعل ذلك تلاميذه من بعده سواء أكانوا من المدرسة البصرية أم من المدرسة الكوفية، وقد ظهر ذلك جليًا في كتب معاني القرآن وإعرابه.

---

(١) قرئ مبنيًا للمفعول وبالياء "الأعز" مرفوع به "الأذل" نصبا على الحال. المحيط ٢٧٤/٨.

(٢) هي قراءة الحسن وابن أبي عبلة بنصب الأعز والأذل، فالأعز مفعول والأذل حال. البحر المحيط ٢٧٤/٨.

(٣) .معاني القرآن للفراء: ٣/ ١٦٠

(٤) إعراب القرآن للنحاس: ٤٣٥/٤، ٤٣٦.

(٥) الكتاب: ٧٦/٢.

رابعًا: آراؤه في اللغة.

اتخذ يونس بن حبيب من اللغة وسيلة وغاية، فعني بكل ما يجعله قادرًا على الإحاطة باللغة من شعر وأخبار ونقد، وقد سمع اللغة عن العرب شأنه شأن أوائل النحاة الذين كانوا يستقون مادتهم العلمية من أفواه الأعراب في البادية، كما أخذ عن أستاذيه أبي عمرو بن العلاء وعيسى بن عمر وعن رؤبة والفرزدق وغيرهم من الشعراء، وقد ألف في اللغة كتاب اللغات والنوادر الكبير والنوادر الصغير والأمثال(١).

وقد روى يونس في "الكتاب" لغة كثيرة عن العرب(٢). وقد غلبت عليه في هذه الروايات نظرة النحوي، فقد قعد معظم حياته للدرس النحوي ولترسيخ القواعد النحوية في ضوء ما بين يديه من مادة لغوية فربط بين اللغة وبين القواعد النحوية، وقد نتج عن ذلك عدة أمور منها:

١- أنه انفرد بألفاظ لم يشاركه أحد في روايتها عن العرب: قال سيبويه: " زعم يونس أن من العرب من يقول: لَبُبْتَ تلُبُّ كما قالوا: ظرُفت تظرُفُ، وإنما قلَّ هذا؛ لأن هذه الضمة تستثقل فيما ذكرت لك(٣) فلما صارت فيما يستثقلون فاجتمعا فروا منها(٤)، وقال ابن جني: "ولم يأت فيما عينه ولامه في موضع واحد "فَعُلتُ" إلا حرفان فيما علمت وهما: "لَبُبْتُ فأنت لبيب" حكاها يونس قال لي أبو عليّ: قال أبو إسحاق سألت عنها ثعلبا فلم يعرفها وحكى قطرب " شَرُرْت في الشر" وإنما تجنبوا" فَعُلْتُ بالضم في المضاعف استثقالاً للضمة مع التضعيف"، والأكثر في الكلام: لَبِبْت تَلَبُّ"(٥). تَلَبُّ"(٥).

---

(١) الفهرست: ٣٤، ٤٢، وفيات الأعيان: ٢١٦/٢، إنباه الرواة ٣٦٧/٢.
(٢) منها في: الكتاب ٣٨٩/١، ٢٦٢، ٣٤٧، ١٥٥، ٤٠٩، ٤١٦، ٣٦٧/٢.
(٣) أي: في عضد ونحوه.
(٤) الكتاب: ٣٧/٤.
(٥) المنصف ٢٤٠/١، النكت للأعلم: ١٠٤٤/٢، ١٠٤٥، اللسان لبب.

٢- أنه وجه أكبر قسط من عنايته إلى الصيغ غير الشائعة من الألفاظ، فكان جل الألفاظ التي أوردها في كتبه ، ونقلتها عنه المصادر الباقية من هذا النوع الذي قد يسمى تيسيرًا "الغريب" مهما كان أصله واستعماله فنجد في هذه الألفاظ: الأفعال الثلاثية السالمة مثل ما رواه ابن السكيت: " وقد بعَل الرجل يبعَل: إذا صار بعلا، حكاها يونس"(١).

والأفعال الثلاثية المضعفة مثل ما ذكره سيبويه عن يونس أنهم قالوا: كعَّ يكَعُّ ويكِعُّ أجود لما كانت قد تُحرّك في بعض المواضع جعلت بمنزلة يَدَعُ ونحوها في هذه اللغة وخالفتْ باب جئت كما خالفتها في أنها قد تحرك"(٢).

يريد أن الذي يقول: يكَّع وماضيه كعَعْتُ جاء به على مثال صنَع يَصْنَعُ، لأن باب كعَّ لما كانت عين الفعل فيه قد تتحرك في كعَعْن ويكعَعْن صار بمنزلة: صنَعْنَ ويَصْنَعْنَ وخالفت باب جئتُ من ذوات الواو؛ لأنهما لا يتحركان إذا كانا عينين"(٣).

والأفعال المزيدة مثل وترت الصلاة ووترتها: مثل أوترتها.. حشمته: أغضبته مثل: حشمته وأحشمته. أحلأت السويق: مثل حلأته".

وكذلك المصادر مثل: "مصدر ألا . أي قصر – ألو ... الأبو: الأبوة... قدمت البصرة قدمانا: أي قدوما".

والجموع مثل: آخاء التي رواها ابن جني(٤). حيث قال: أخ وآخاء فيما حكاه يونس.

واللؤمان: اللئام... يقال في جمع سقب الناقة: سقبان وفي جمع سقب البيت وهو عموده: سقبان ، يجمع الجدي جديانا"(٥).

---

(١) إصلاح المنطق: ٢١٥، يونس بن حبيب د. حسين نصار: ١٢٠.
(٢) الكتاب: ١٠٧/٤.
(٣) الأعلم: ١٠٧٤/٢ وفي اللسان (كعع): الكعُّ والكاعُّ: الضعيف العاجز– ورجل كعُّ كاعٌّ وهو الذي لا يمضي في عزم ولا حزم وهو الناكص على عقبيه.
(٤) الخصائص: ٣٣٩/١، سر صناعة الإعراب: ١٦٦/١.
(٥) الجمهرة: ٤٦١/٣، ابن السكيت ٤١٣.

والصفات نحو: المصياف الذي لا يتزوج حتى يشمط... هذا أمر صغران حقران: أي صغير حقير... إناء ثلثان: إلى الثلث، كالنصفان: إلى النصف"(١).

٣- أن المعاجم اللغوية قد أخذت أقوال يونس بن حبيب، واستشهدوا بها(٢).

ومن ذلك ما جاء من خلاف حول معنى كلمة "جهنم" حيث ذكر "ابن منظور" عن الأزهري أن في "جهنم" قولين: قول يونس بن حبيب وأكثر النحويين جهنم: اسم النار التي يُعذِّب الله بها في الآخرة وهي أعجمية لا تجُرى للتعريف والعجمة، وقال آخرون: جهنم عربيٌّ سميت نار الآخرة بها لبعد قعرها وإنما لم تجر لثقل التعريف وثقل التأنيث... وحكى أبو علي عن يونس : أن جهنم اسم عَجَميّ قال أبو علي: ويقويه امتناع صرف جُهُنَّام في بيت الأعشى: ودعوْا له جُهُنَّامَ.

فلم يصرف فتكون جهنم على هذا لا تنصرف للتعريف والعجمة والتأنيث أيضًا"(٣).

وفي توضيح معنى "عنان" يقول ابن منظور: والعَنان بالفتح: السحابُ ورواه بعضهم أعنان بالألف، فإن كان المحفوظ أعنان فهي النواحي، قاله أبو عبيدة. قال يونس بن حبيب: أعنان كل شيء نواحيه، فأما الذي نحكيه نحن فأعناء السماء نواحيها، قاله أبو عمرو وغيره... وأعنان السماء نواحيها ، واحدها عنٌ وعَنٌّ وأعنان السماء: صفائحها وما اعترض من أقطارها كأنه جَمْع عَنٍ"(٤).

٤- أنه ذكر تعدد معنى اللفظ مع تعدد ضبطه وصيغته، فقد روى عنه في توضيح معنى "غرفة" بفتح الغين وضمها أنه قال: "غَرْفةٌ وغُرْفة عربيتان، غَرَفْتُ غَرْفة وفي القِدر غُرْفة، وحَسَوْتُ حَسْوة وفي الإناء حُسْوةٌ"(٥).

---

(١) يونس بن حبيب د. حسين نصار: ص ١٢٠، ١٢١ بتصرف.
(٢) يراجع اللسان : ذوي، خطر ، حفض.
(٣) اللسان: جهنم: ٧١٥ بتصرف ط. دار المعارف.
(٤) اللسان: عنن: ٣١٤٢.
(٥) إصلاح المنطق: ١٢٩، اللسان: عرف: ٣٢٤٢، يونس بن حبيب د. حسين نصار: ١١٩.

وفي الصحاح: غَرَفتُ الماء بيدي غَرْفًا، والغَرفَةُ والغُرفة: ما غُرِف، وقيل: الغَرْفة المرةُ الواحدة والغُرفة ما اغتُرف. وفي التنزيل العزيز: ﴿إِلا مَنِ ٱغْتَرَفَ غُرْفَةَۢ﴾ [البقرة: ٢٤٩](١).

وقال الجاحظ: "قال يونس بن حبيب: إذا قالوا: غُلِّب الشاعر، فهو الغالب، وإذا قالوا مغلَّب، فهو المغلوب وقال امرؤ القيس(٢).

وَإِنَّكَ لَم يَفخَر عَلَيكَ كَفاخِرٍ ضَعيفٍ وَلَم يَغلِبكَ مِثلُ مُغَلَّبِ(٣)

٥- أنه فطن إلى الألفاظ التي أهملت بعد استعمالها مدة من الزمان فلم يعد الناس يستخدمونها وعد هذا النوع ميتا ويعد هذا من الأمور اللغوية التي نبه عليها.

قال ابن دريد(٤): **" الغطر: فعل ممات، يقال: مر فلان يغطر بيديه: مثل يخطر سواء هكذا يقول يونس".**

وقال أبو عبيدة ليونس حين أنشده شعر الأسدي:

ومركضة صريحي أبوها تهان له الغلامة والغلام(٥)

أفتقول للجارية غلامة ؟ قال: لا ، هذا من الكلام المتروك وأسماؤه زالت مع زوال معانيها كالمرباع والنشيطة، وبقى الصفايا"(٦).

---

(١) الصحاح: غرف.
(٢) ديوان امرئ القيس ٧٧، واللسان : غلب. البيت من الطويل
(٣) البيان والتبيين: ٣١٢/٢، ١١/٣.
(٤) الجمهرة: ٣٦٩/٢، اللسان : غطر. يونس بن حبيب/١٢٢.
(٥) البيت في كتاب نخبة عقد الأجياد في الصافنات الجياد لمحمد عبد القادر الجزائري – موقع منتدى Islamicbook.
(٦) الحيوان للجاحظ: ٣٢٩/١، يونس بن حبيب د. حسين نصار: ١٢٢.
والمرباع: ربع جميع الغنيمة الذي كان خالصًا للرئيس وصار في الإسلام الخمس على ما سنه الله تعالى، وأما النشيطة فإنه كان للرئيس أن ينشط عند قسمة المتاع العلق النفيس يراه إذا استحلاه وبقى الصفي، وكان لرسول الله ﷺ

٦- أنه كما اهتم باللفظ المفرد اهتم كذلك بالعبارة المركبة التي شعر بغرابتها وأنها لا تسير على النحو الشائع في العبارة العربية ونُقل عنه في ذلك عبارات عدة نجد أكثرها من العبارات ذات المعنى الغريب أو الخاص أو الأدبي قال سيبويه: " ذو صباح: بمنزلة ذات مرة ، تقول: سير عليه ذا صباح أخبرنا بذلك يونس عن العرب"(١).

وقال ابن السكيت: "قولهم: لا دريت ولا أتليت" يدعو عليه بأن لا تتلى إبله أي لا يكون لها أولاد، عن يونس..." (٢).

ومن ذلك ما جاءته الغرابة من تثنية ما حقه الإفراد قال سيبويه: "قد يثنون ما يكون بعضا لشيء زعم يونس أن رؤبة كان يقول : ما أحسن رأسيهما"(٣).

وكذلك ما جاءته الغرابة من التذكير والتأنيث غير القياسيين.

قال ابن سلام(٤): "سمعت يونس وقيل له ما يعني الراعي بقوله:

يَبيتُ الحَيَّةُ النَضناضُ مِنهُ مَكانَ الحِبِّ يَستَمِعُ السِرارا(٥)

قال يونس: الحب القرط- او قال: الشنف والنضناض: الذي يخرج لسانه.

قال يونس: يقولون حية ذكر ونعامة ذكر، وشاة ذكر، وبطة ذكر؛ وجاء عنه: ليلة مقمر: مثل مقمرة... يقال: كثرت مال فلان، يؤنثون المال كما أنثوا القوم . قال الله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾.

من كل مغنم وهو كالسيف اللهزم والفرس العتيق والدرع الحصينة والشيء النادر". الحيوان للجاحظ ص ٩٩- الوراق موقع الموسوعة الشاملة

(١) الكتاب: ٢٢٦/١.

(٢) إصلاح المنطق: ٣٥٥، يونس بن حبيب د. حسين نصار: ١٢٤.

(٣) الكتاب ٤٨/٢.

(٤) الطبقات: ٤٣٤.

(٥) البيت في لسان العرب (نضض) يقال للحية نضناض ونضناضة وحية نضناض: تحرك لسانها... وقيل هي التي تقتل إذا نهشت من ساعتها وقيل: هي التي لا تستقر في مكان وقيل: النضناض: الحية الذكر، والحِب: القرط وقيل: الحبيب. الاشتقاق لابن دريد – موقع الموسوعة الشاملة.

ودخلت الغرابة على بعض العبارات من تعدية الفعل اللازم جاء عن يونس: "مكرته: أي مكرت به... أوماه: أي أومأ إليه"(١).

* * *

ومن ذلك يتبين أن يونس بن حبيب قد اهتم اهتمامًا بالغًا باللفظ المفرد كما اهتم كذلك بالعبارة المركبة ورصد الظواهر اللغوية التي تخضع لها الألفاظ والعبارات ومنها الغرابة التي دعته أن يضمن حلقته بعض الطرف يرويها ليقرب هذه الألفاظ ويحبب الطلبة فيها وييسر حفظها.

قال ابن خلكان: "كان جبلة بن عبد الرحمن يُخرج إلى طبَّاخه الرقاع يستدعي بها الطعام وفيها الألفاظ الغريبة الحوشية فلا يدري الطباخ ما فيها حتى يمضي بها إلى ابن أبي إسحاق ويحيى بن يعمر وغيرهما يفسرون ما فيها من الألفاظ، فإذا عرف الطباخ ما فيها أتاه بما استدعاه، فقال له يوما: ويحك إني أصوم معك! فقال له الطباخ: سهَّل كلامك حتى يسهل طعامك فيقول: ياابن اللخناء أفأدع عربيتي لعيك"(٢).

وقال يونس: " صنع رجل لأعرابي ثريدة ليأكلها، فقال له: لا تسقعها ولا تشرمها ولا تقعرها قال له: فمن أين آكل لا أبالك؟ قال: كل من جوانبها.

معنى تسقها: تقشر أعلاها، وتشرمها: تخرمها. وتقعرها: تأكل من أسفلها"(٣).

وهكذا نرى أن يونس بن حبيب ساهم بقدر كبير في نقل اللغة وأنه قد بلغ مرتبة لا تقل عن مرتبة أكابر علماء اللغة حتى تأخذ عنه المعاجم اللغوية وتنشر ما نقله عن

---

(١) يونس بن حبيب. د. حسين نصار: ١٢٥.
(٢) وفيات الأعيان: ٤١٧/٢.
(٣) مجالس ثعلب: ٨، ٢٦، المزهر ١٥٢/١، المخصص : ١٣/٥، يونس بن حبيب د. حسين نصار: ١٢٧ بتصرف.

العرب، بل ساوى بعض العلماء بين يونس وأبي زيد نفسه. قال المبرد: "كان يونس من باب أبي زيد في العلم باللغات"(١).

يقول د. حسين نصار: " ويكفي للتدليل على دلالة هذاالحكم ومداه أن أورد القول التالي، الذي كان شائعًا في أوساط البصرة عن لغوييها كان يقال:

"كان الأصمعي يحفظ ثلث اللغة، وأبو زيد ثلثي اللغة، والخليل بن أحمد نصف اللغة وعمر بن كركرة الأعرابي يحفظ اللغة كلها"(٢).

أي أن يونس بن حبيب كان يحفظ ثلثي اللغة كأبي زيد، إلا أن موقفه يختلف فيما يرويه عن العرب عن موقف أبي زيد مما يرويه فأبو زيد راوية للغة فحسب واشتهر بذلك بينما يونس بن حبيب راوية ونحوي ولكنه نحوي قبل أن يكون راوية فقد غلبت عليه في رواياته اللغوية عن العرب نظرة النحوي فنجده يدلل على قاعدة نحوية أو استنباط موقف نحوي، أو يبين لغة من لغات العرب ويؤدي بنا هذا إلى تصديق قول القدماء حين يقولون: " كان النحو أغلب عليه"(٣). وإلى أن من وصفه فقال: "بارع في النحو"(٤). قد منحه بعض حقه.

(١) نزهة الألباء: ٨٦، الفهرست: ٥٤.
(٢) بغية الوعاة للسيوطي: ٢٥٤، يونس بن حبيب د. حسين نصار: ١٣٠.
(٣) أبو الطيب٢١، الزبيدي: ٤٨، المزهر: ٣٩٩/٢- القفطي: ٣٦٣/٢.
(٤) بغية الوعاة ٣٦٥/٢، إنباه الرواة: ٣٦٥/٢، يونس بن حبيب د. حسين نصار: ١٥٣.

الفصل الثالث
أثر يونس بن حبيب
في المدرسة الكوفية وشيوخها

أثر يونس بن حبيب في المدرسة الكوفية وشيوخها

لم يكن ليونس أثر في سيبويه وكتابه بصفة خاصة والمدرسة البصرية بصفة عامة فحسب، وإنما كان له أثر أيضاً في المدرسة الكوفية التي اتخذت من اتجاهه – وهو التساهل في القياس والتعظيم لما يرد عن العرب – مساراً لها وهادياً.

فقد كان أبو عمرو بن العلاء شيخ يونس بن حبيب واسع العلم بكلام العرب ولغاتها وغريبها وكان أشد تسليماً للعرب وكان يجوّز الأوجه المختلفة التي ترد عنهم.

جاءه عيسى بن عمر فقال له: يا أبا عمرو ما شيء بلغني أنك تجيزه؟ قال: وما هو؟ قال: بلغني أنك تجيز " ليس الطيب إلا المسكُ" بالرفع. فقال أبو عمرو: "تمت يا ابن عمر وأدلج الناس ليس في الأرض حجازي إلا وهو ينصب وليس في الأرض تميمي إلا وهو يرفع ..."(١).

وقد سار يونس بن حبيب مسار شيخه إذ كان يجله ويحترم رأيه ويقول: " لو كان أحد ينبغي أن يؤخذ بقوله كله في شيء واحد كان ينبغي لقول أبي عمرو بن العلاء في العربية أن يؤخذ كله، ولكن ليس أحد إلا وأنت آخذ من قوله وتارك إلا المصطفي ﷺ(٢)، فاقتفى أثره في عدم الطعن علي العرب.

ولما جاء الكسائي إلى البصرة تتلمذ علي أبي عمرو بن العلاء وتأثر به تأثراً ملحوظاً ويقال: إنه بقي ملازماً له نحو سبع عشرة سنة وتتلمذ بعد ذلك علي يونس بن حبيب تلميذ أبي عمرو، وكان يونس يثني عليه في مجلسه بالبصرة ويشجعه، فقد سئل بحضرته عن توجيه رفع الخمر في بيت الفرزدق:

غَداةَ أَحَلَّت لِابنِ أَصرَمَ طَعنَةٌ حُصَينٌ عَبيطاتِ السَدائِفِ وَالخَمرِ(٣)

---

(١) مغني اللبيب: ٣٨٧، ٣٨٨ .

(٢) طبقات فحول الشعراء: ١٥ .

(٣) البيت من الكامل وهو في مجالس العلماء، والعقد الفريد ومعناه: أن حصين بن أصرم قد حلف ألا يأكل لحمًا ولا يشرب خمرًا حتى يدرك ثأره فأدركه في ذلك

فقيل للكسائي على أي شيء رفعت الخمر؟ فقال: أضمرت فعلاً كأنه قال: "وحلت له الخمر" أو "وحلت لي الخمر" فقال يونس: ما أحسن والله ما وجهته وفي رواية أخرى أنه قال: أشهد أن الذين رأسوك رأسوك علي حق... غير أني سمعت الفرزدق ينشده: عبيطاتٌ السدائف والخمرُ. جعل الفاعل مفعولاً كما قال الحطيئة:

فَلَمّا غَشيتُ الهونَ وَالعيرُ مُمسِكٌ عَلى رَغمِهِ ما أَمْسَكَ الحَبلَ حافِرُ[1]

والقصيدة علي الرفع، جعل الفاعل مفعولاً فقال الكسائي: هذا علي هذا وجه"[2].

وكان يونس يرد قول الكسائي رداً لطيفاً جميلاً فها هو يسأل في مجلسه إن(أولق): ما مثاله من الفعل؟ فيقول: أفعل فيقول يونس له:استحييت لك يا شيخ! والظاهر عندنا من أمر أولق أنه فَوْعل من قولهم: ألق الرجل فهو مألوق.

وكان يونس يغضب كل الغضب إذا ما أحس أن أحداً في مجلسه حاول أن يستثير الكسائي أو يعمد إلى تخطئته ويقول: تؤذون جليسنا ومؤدب ولد أمير المؤمنين.

وقد توطدت العلاقة بين يونس والكسائي وتعمقت بعد هذا الموقف الذي كان له أجمل الأثر في نفس الكسائي ولاسيما بعد المسائل النحوية التي جرت بينهما وأقر له يونس فيها وكافأه على ذلك بأن صدّره موضعه.

اليوم الذي ذكره فقال:عبيطات السدائف. العقد الفريد لابن عبد ربه موقع الحكواتي.

(١) البيت في مجالس العلماء للزجاجي ص ٢٠ ت أ/ عبد السلام هارون، وفي الموازنة بين أبي تمام والبحتري للآمدي موقع المكتبة الشاملة.

(٢) أنباه الرواه: ٣٦٧/٢ بغية الوعاه ١٦٣/٢ يونس بن حبيب د. حسين نصار: ١٦، ١٧ .

وقد كان عقل الكسائي منتبهاً ويقظاً لكل ما يسمعه عن يونس من أجل أن يأخذ به ويقتفي أثره، فهذا يونس بن حبيب يسأل والكسائي حاضر لِـمَ صـارت "حتى" تنصب الأفعال المستقبلة؟ فيقول: هكذا خلقت.

ويسأل الكسائي فيما بعد في مجلس يونس عن قولهم: لأضربن أيهم يقـوم لم لا يقال : أيُّهم فيقول: أيّ هكذا خلقت [1].

ولم يمنع توطيد العلاقة بين يونس والكسائي من معارضة الكسائي وتوجيهه في بعض الأحيان فقد سأل الشراداني من تلاميذ يونس الكسائي: كيف تصـغر حسـيناً فقال: "حسينين فقال مستنكراً: "أتصغر مصغراً؟ هذا مالا نهاية له فوثب رجل كان مـع الكسائي علي الشراداني وقال: أتقول هذا لمؤدب أمير المؤمنين، فرد يونس: "مغالبـة العلم بالحجة لا بالسلطة"[2].

* * *

ولم يكن الكسائي الكوفي الوحيد الذي درس علي يونس فقد جلس بين يديه جماعة من أهل الكوفة وجدوا فيه – بعد وفاة الخليل – أعظم النحـاة فنقلـوا عنـه واغترفوا من علمه، وتقبلوا بعض آرائه ودافعوا عنها.

فقد درس عليه "الفراء"[3] أيضاً وأخذ عنه نحواً وشعراً وكان الكوفيون – كما يبدو من رواية أبي الطيب اللغوي يفتخرون بأنه– أي الفراء أخذ عن يونس فأكثر، قال: وأهل الكوفة يدعون أنه استكثر منه وأهل البصرة يدفعون ذلك.

---

(١) أوضح المسالك: ١٣٨/١، ونص ابن هشام: "وسُئل الكسـائي لـم لا يجـوز "أعجبني أيُّهم قام؟". فقال: أي كذا خلقت" أراد أن وضعها على هذا. ويراجع عدة السالك إلى تحقيق أوضح المسالك: ١٣٨/١، ١٣٩.

(٢) يونس بن حبيب د/حسين نصار:١٨.

(٣) البغية ٣٣٣/٢، المزهر: ٤١٠/٢، وفيات الأعيان: ٤١٦/٢، يـاقوت: ٤٦/٢. أبو زكريا الفراء د. أحمد مكي الأنصاري ، سيبويه إمام النحاة: ٩٤.

وقال الأستاذ سعيد الأفغاني: "الطريف تشاد البصريين والكوفيين في قراءة الفراء علي يونس بن حبيب البصري أستاذ سيبويه تشادا علي غير المنتظر فالكوفيون يزعمون أنه استكثر عنه والبصريون يدفعون ذلك"(١)

وهذه الرواية إن دلت علي شيء فإنما تدل علي مدى المكانة التي كان يونس يمثلها في ذهن الكوفيين وفكرهم.

كل ذلك دفع الكسائي والكوفيين بعده إلي أن يتتبعوا الاتجاه النحوي الذي سار فيه أبو عمرو بن العلاء ويونس بن حبيب وهو الاتجاه الذي يعظم لغات العرب ويقبل بتجويزها مهما تباعدت من غير طعن أو تلحين، أما البصريون فواصلوا السير علي الاتجاه الذي اتسم بالتشدد في القياس وتأويل ما يخالفه أو جعله شاذاً أو خطأ.

* * *

وقد اتبع الكوفيون يونس في آراء كثيرة خالف فيها البصريين منها:

أن تلقي علامة الندبة علي الصفة نحو قولك: "وازيد الظريفاه" بينما ذهب الخليل إلى أن هذا خطأ.(٢)

– ومنها أنهم تبعوه في جواز إدخال نون التوكيد الخفيفة علي فعل الاثنين وجماعة النسوة نحو:"افعلان" وأفعلنان بالنون الخفيفة وأيد ابن جني هذا المذهب قائلاً: "وليس ذلك.... بالممتنع في الحس وإن كان غيره أسوغ فيه منه من قبل أن الألف إذا أشبع مدَّها صار ذلك كالحركة فيها، أما البصريون فذهبوا إلى أنه لا يجوز إدخالها في هذين الموضعين. (٣) قال سيبويه: وأما يونس وناس من

(١) في أصول النحو: ١٦٦، يونس بن حبيب: ص:٣٩ .
(٢) الكتاب: ٢٢٦/٢ والنكت:٥٦٦/١ ،أسرار العربية للأنباري ٢٤٥
(٣) الكتاب: ٥٢٧/٣ الخصائص:٨٨/١، ٩٢ .

النحويين فيقولون: اضربانْ زيداً واضربنانْ زيداً فهذا لم تقله العرب، وليس له نظير في كلامها، لا يقع بعد الألف ساكن إلا أن يدغم" (١).

– وتبعوه في جواز العطف على الضمير المجرور دون إعادة الخافض. فأجاز الفراء(٢)في"ما"من قوله تعالى:﴿قُلِ ٱللَّهُ يُفۡتِيكُمۡ فِيهِنَّ وَمَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ ...﴾(٣). الرفع عطفًا على "الله" والجر عطفًا على "فِيهِن" وكذلك قوله: ﴿وَٱلۡمُسۡتَضۡعَفِينَ﴾ في موضع خفض على قوله: ﴿يُفۡتِيكُمۡ فِيهِنَّ﴾ أي وفي المستضعفين.

– وتبعوه في أن "أي" الموصول الاسمي المشترك في نحو: "لأضربن أيُّهم أفضل" معرب ولكنه يقول: إنه مرفوع بالابتداء و "أفضل" خبره والفعل معلق عن العمل فهو يجيز تعليق غير أفعال القلوب، أما هم فيقولون: إنه مفعول به منصوب بينما يرى سيبويه أنه مبني على الضم".

وفي ذلك يقول سيبويه: " وسألت الخليل رحمه الله عن قولهم: اضرب أيُّهم أفضل؟ فقال: القياس النصب، كما تقول: اضرب الذي أفضل. وحدثنا هارون أن ناسًا وهم الكوفيون يقرءونها: ﴿ ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمۡ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحۡمَٰنِ عِتِيًّا ﴾ (٤).

وهي لغة جيدة ، نصبوها كما جروها حين قالوا: امرُرْ على أيِّهم أفضل...

وزعم الخليل أن أيُّهم إنما وقع في اضربْ أيُّهم أفضل على أنه حكاية كأنه قال: اضرب الذي يقال له أيُّهم أفضل... وأما يونس فيزعم أنه بمنزلة قولك: أشهد إنك لرسول الله، واضرب معلقة وأرى قولهم: اضربْ أيُّهم أفضلُ على أنَّهم

---

(١) الكتاب: ٥٢٧/٣، يونس البصري د. أحمد مكي الأنصاري، موقف من يونس بن حبيب د.محمود حسني. موقع مجمع اللغة الأردني.
(٢) معاني القرآن للفراء ٢٩٠/١، ١٤١، شرح التسهيل: ٣٧٥/٣، ٣٧٦.
(٣) النساء:١٢٧.
(٤) مريم:٦٩.

جعلوا هذه الضمة بمنزلة الفتحة في خمسة عشر وبمنزلة فتحة الآن حين قالوا: من الآنَ إلى غدٍ..." (١).

- وتبعوه في أن الذي يقع مصدرًا كما ورد في قوله تعالى: ﴿وَخُضْتُمْ كَٱلَّذِى خَاضُوٓاْ﴾(٢).

ومجيء "الذي" على هذا الوجه حكاه أبو علي الفارسي عن يونس وسبب ذلك عندهم أن "الذي" مفرد وما بعده جمع فلو كان موصولاً اسميًا لقيل: "كالذي خاض" أو لقيل: "كالذين خاضوا" .

فقال الفراء: "وخضتم كالذي خاضوا" يريد: كخوضهم الذي خاضوا"(٣).

- وتبعوه في أن "وحده" منصوبة على الظرف قال سيبويه: " وزعم يونس أن وحده بمنزلة عنده"(٤).

- وتبعوه في إعمال حرف الجر المحذوف فقد ذهب الكوفيون إلى أنه يجوز الخفض في القسم بإضمار حرف الخفض من غير عوض مستدلين بما جاء عن العرب من إعمال حرف الخفض مع الحذف. فحكى يونس بن حبيب أن من العرب من يقول: " مررت برجل صالح إلاَّ صالحٍ فطالحٍ" أي إلا أكن مررتُ برجل صالح ؛ فقد مررت بطالح، وروى رؤبة ابن العجاج أنه كان إذا قيل له : كيف أصبحت؟ يقول: خيْرٍ عافاك الله" أي بخير بينما ذهب البصريون إلى أنه لا يجوز ذلك إلا بعوض"(٥).

---

(١) الكتاب: ٣٩٨/٢: ٤٠٠ باختصار، أسرار العربية للأنباري : ٣٨٣، أوضح المسالك: ١٣٧/١، والتصريح: ١٦٣/١.

(٢) التوبة: ٦٩.

(٣) معاني القرآن للفراء: ٤٤٦/١. وقيل: إن الذي اسم موصول صفة لموصوف محذوف أي وخضتم خوضًا كالخوض الذي خاضوا والعائد ضمير محذوف منصوب بخاضوا أي خاضوه أو أن الذي اسم موصول للجميع وأصله الذين فحذفت النون. يراجع: عدة السالك إلى تحقيق أوضح المسالك أ/ محمد محي الدين: ١٢٦/١.

(٤) الكتاب: ٣٧٧/١، ٣٧٨.

(٥) الكتاب: ٢٦٢/١، الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين والبصريين للأنباري: ٣٩٣/١، ٣٩٤.

مما سبق يتبين أن تأثير يونس بن حبيب في هؤلاء الكوفيين كان واضحًا مما جعل بعض الباحثين[1] يقول: إن ابن حبيب النحوي كان مؤسسًا بارزًا من مؤسسي المدرسة الكوفية أو على الأقل كان مساهمًا مساهمة فعالة في نشأة هذه المدرسة، فهو الذي فتح لها مجال السير في الاتجاه المذكور الذي كان يتجه مع أستاذه من غير أن يتعارض هذا القول مع بصريته.

كذلك قد عده د/ أحمد مكي الأنصاري ممن وضعوا النواة الأولى للمدرسة البغدادية ، ولعل قرب يونس من الكوفيين هو الذي دفع الأنصاري إلى ذلك.

ولكن التقاء يونس بالكوفيين وأثره فيهم كان قبل أن تنشأ المدرسة البغدادية وتقف على قدميها.

ولا يمنع تأثر الكوفيين بيونس بن حبيب وتأثيره فيهم أن يخالفوه في بعض أقواله. من ذلك:

١ – أنه أجاز التمييز "بغير"، نحو: "لي عشرون غيره" ومنع ذلك الفراء"[2].

٢ – قد اشترط البصريون لإعمال (ما) عمل ليس ألا ينتقص النفي بها نحو: ما زيد إلا قائم. أما يونس فأغفل هذا الشرط وأجاز أن تقول: ما زيد إلا قائما، ولم يوافقه الكوفيون كل الموافقة، ولا خالفوه كل المخالفة، بل فصلوا الأمر فذهبوا إلى أنه إذا كان ما بعد إلا منزلا منزلة ما قبلها أعملت نحو: ما زيد إلا زهيرا، أما إذا كان هو الأول نفسه فمنعوا إعمالها مثل: ما زيد إلا أخوك. وأجاز الفراء الإعمال أيضًا إذا كان ما بعد إلا وصفًا نحو: ما زيد إلا قائمًا"[3].

٣ – قد حكى يونس عن العرب أن أصل الألف في: "أيمُ الله وأيمُنُ الله أن تكون موصولة وفي ذلك يقول سيبويه: " إن ألف أيم في أيْمُ الله موصولة . حدثنا

---

(١) د. محمود حسني محمود موقف من يونس بن حبيب. يونس البصري د. أحمد مكي الأنصاري بتصرف.

(٢) أبو حيان : منهج السالك: ٢٢٠.

(٣) اشية الصبان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك: ٢٤٩/١، يونس بن حبيب: د. حسين نصار: ص ١٤٨.

بذلك يونس عن أبي عمرو وهو رأيه ، والدليل على أن ألف أيم ألف وصل قولهم: إيمُ الله، ثم يقولون: ليمُ الله"(١).

فحذف ألف (أيمن) في الوصل، وهو اسم مفرد مشتق من اليُمن وخالفه الكوفيون فقالوا: إن (أيمن) جمع يمين والأصل في همزته أن تكون همزة قطع إلا أنها وصلت تخفيفًا لكثرة الاستعمال، وقد نسب الرضي رأي يونس هذا لسيبويه(٢).

٤ – وكان يونس لا يجيز النسق بأحرف الاستفهام وخالفه الكوفيون فأجازوا ذلك.

قال سيبويه: " وأما ما مررتُ برجلٍ فكيف امرأةٌ فزعم يونس أن الجر خطأ وقال: هو بمنزلة (أين)" (٣).

وعلق السيرافي قائلاً: مذهب البصريين أن العطف لا يجوز بشيء من حروف الاستفهام، فأما الكوفيون فقد أجازوا النسق بأين وكيف وألا وهلا(٤).

* * *

فما سبق يدل على أن الكوفيين قد أخذوا بآراء يونس بن حبيب وناقشوها واهتموا بها واختاروا منها وردوا بعضها.

ولا يقدح ذلك في قدره بين علماء عصره.

---

(١) لكتاب: ٣/٣٢٤، ٣٢٥.

(٢) المقتضب ٢/٣٢٩، وهامش الأعلم: ٢/٩٥٦، الإنصاف ١/٤٠٤، ٤٠٧، شرح الكافية للرضي: ٢/٣٣٧.

(٣) الكتاب ١/٤٤١ أثبت الكسائي العطف بـ "لولا ومتى" وهشام العطف بـ (كيف) بعد نفي.
يراجع الهوامع للسيوطي: ٢/١٣٧، ١٣٨

(٤) شرح كتاب سيبويه للسيرافي موقع أم القرى – هامش الكتاب: ١/٤٤١.

الخاتمة

الحمد لله على تيسيره السبيل وإرشادنا إلى الطريق المستقيم . فمن فضله تعالى أن تم هذا البحث الذي عشت فيه فترة ليست بالقليلة مع صحبة عالم جليل طوفت خلالها بين الكتب التي ذكرت جهوده النحوية والصرفية وكان أكثر هذه الكتب ذكرًا لأقواله كتاب تلميذه سيبويه -رحمه الله تعالى- الذي شهد له شيخه يونس بصحة ما نقله عنه في هذا الكتاب شهادة رفعت من ذكره وجعلته صاحب الفضل الأول بعد الله- عز وجل- في نقل أقوال يونس بن حبيب إلى الدارسين عبر العصور.

والنتائج التي حققها هذا البحث تنقسم إلى ثلاثة أقسام:

- قسم مستنبط من حياة يونس بن حبيب.
- وقسم مستنبط من سائر فصول البحث.
- وقسم مستنبط من مناقشة المسائل النحوية والصرفية.

فمن القسم الأول أطلت علينا النتائج التالية:

١- كان يونس بن حبيب صاحب فكرة واضحة واتجاه نحوي فريد عاش يسعى إلى تحقيقه فتوسع في القياس كأبي عمرو بن العلاء شيخه فكان يضع قياسًا ما يطرده ويعممه وقد جمع بين القياس والسماع فكان يقيس على القليل المسموع ما دام موثوقًا به حتى وصف بأنه له قياس في النحو ومذاهب ينفرد بها.

٢- عني بما كان لشيوخه من آراء لغوية ونحوية احتفظ بها ورواها لتلاميذه حتى وصلت إلينا. وكان فيما يروى عن شيوخه ذا نظرة فاحصة ورأي دقيق صائب فلم تلغ شخصيته أمامهم بل كان يوافقهم تارة ويخالفهم تارة أخرى ويناقشهم بالحجة والدليل. مع حفظه لكل منهم قدره ومكانته.

٣- أن كتب يونس بن حبيب المعروفة التي ألفها، والتي لم يصل إلينا منها إلا أقواله التي رواها عنه تلاميذه في شتى علوم العربية قد انتفع بها هؤلاء التلاميذ ومن جاء بعدهم وبنوا عليها كتبهم التي ألفوها في نفس ما

كتب يونس بن حبيب فألفوا في معاني القرآن وفي النوادر وفي الأمثال واللغات.

ومن القسم الثاني الذي يخص سائر فصول البحث ظهرت النتائج التالية:

١- بين البحث مكانة يونس بن حبيب في كتاب سيبويه وأنه لا يقل أهمية عن غيره من العلماء الذين اعتمد عليهم سيبويه في كتابه وقد ظهر ذلك جليًا حين كان يسأله فيجب أو حين كان يوازن بين أقواله وبين أقوال غيره من العلماء خاصة الخليل بن أحمد. (١).

وأنه أسهم مساهمة فعالة في تطور النحو وتثبيت قواعده كما أسهم بقدر كبير في الدراسات الصرفية حيث نقل عنه سيبويه كثير من المسائل الصرفية.

٢- رد البحث ما ذكره أ.د/ شوقي ضيف من أن يونس بن حبيب كان يتردد اسمه في كتاب سيبويه ولكن غالبا في شواهد اللغة، لا في الآراء النحوية فسيبويه – على ما يبدو – لم يكن يعجب بتلك الآراء وأنه وقع بعيدًا عن تطور نظرية النحو"(٢). فقد بين البحث مدى تأثر سيبويه بشيخه يونس وأنه قد نهل من علمه وصدق في نقل رواياته عن العرب تلك الروايات التي جاءت زهاء مائتين في كتابه أقبل عليها الباحثون بالدراسة والتحليل.

٣- برع يونس بن حبيب بين المفسرين وقد انفرد بآراء في توجيه القراءات القرآنية وقد غلبت عليه الصبغة النحوية في تفسيره لبعض الآيات كما كان يستشهد على أقواله بما لديه من أقوال سمعها عن العرب وهذا المنهج قد اتبعه فيه كثير من النحويين ممن ألفوا بعده في هذا المجال.

٤- ربط يونس بن حبيب بين اللغة وبين القواعد النحوية والصرفية فقد روى في كتاب سيبويه لغة كثيرة عن العرب وقد غلبت عليه في هذه الروايات نظرة

---

(١) البحث ص٢٣: ٣٤، ٣٨: ٤٣.

(٢) البحث ص٣٥، ٤٧.

النحوي فقد قعد معظم حياته لترسيخ القواعد النحوية في ضوء ما بين يديه من مادة لغوية. وقد ساوى بعض العلماء بينه وبين أبي زيد نفسه في رواية اللغة بيد أن يونس في رواياته كانت تغلب عليه الصبغة النحوية بينما كان أبو زيد راوية فحسب(١).

٥- أن يونس بن حبيب كان من الثقات الذين أخذت عنهم اللغة ونقلت آراؤه في المعاجم اللغوية وقد انفرد بكثير من الألفاظ لم يشاركه أحد في روايتها عن العرب، كما اهتم باللفظ المفرد وبالعبارة المركبة ورصد الظواهر اللغوية التي تخضع لها الألفاظ والعبارات ومنها الغرابة التي دعته أن يضمن حلقته بعض الطرف يرويها ليقرب معناها ويحبب الطلبة فيها وييسر حفظها وهي نظرية تربوية نتعلم منها كيف نتعامل مع الطلبة والطالبات في المسائل التي يصعب عليهم فهمها(٢).

٦- بين البحث أن تأثير يونس بن حبيب لم يكن في المدرسة البصرية وأعلامها فحسب، وإنما كان له تأثير أيضًا في المدرسة الكوفية وأعلامها حيث تتلمذ عليه كثير منهم كالكسائي والفراء وغيرهم، مما جعل بعض الباحثين يقول: إن ابن حبيب النحوي كان مؤسسًا بارزًا من مؤسسي المدرسة الكوفية أو على الأقل كان مساهمًا مساهمة فعالة في نشأة هذه المدرسة دون أن يتعارض هذا القول مع بصريته. ودفع بعض الباحثين أيضًا إلى جعله ممن وضعوا النواة الأولى للمدرسة البغدادية ولكن التقاء يونس بالكوفيين كان قبل أن تنشأ المدرسة البغدادية وتقف على قدميها(٣).

ومن القسم الثالث أطلت علينا بعض النتائج التي ظهرت من مناقشة بعض المسائل النحوية والصرفية ومنها ما يأتي:

---

(١) البحث ص٧٤.
(٢) البحث ص ٧٢، ٧٣.
(٣) البحث ص٨٢.

١- أن يونس بن حبيب اختلف مع شيوخه في تصغير معتل العين واللام نحو "أحوى" فكان عيسى بن عمر يقول: أُحَيٌّ ويصرف، وكان أبو عمرو يقول: أُحَيٍّ، وأما يونس فيقول: هذا أُحَيٌّ، وقال سيبويه: هو القياس.

٢- اختلف مع شيخه أبي عمرو بن العلاء في النسب إلى الأسماء المعتلة الآخر بالياء أو الواو مع سكون ما قبلها ودخول التاء عليها نحو: ظبية فيقول أبو عمرو: ظَبْيِيّ، وأما يونس فيقول: ظبويّ(١).

٣- جوز يونس حذف الواو وتسكين ميم الجمع مع الضمير فقال: "أعطيتكمْه" وكان ذلك مشهورًا مع الاسم الظاهر نحو: " أعطيتكم ذلك بدلاً من أعطيتكمو ذلك، فكان من الأقيسة التي عممها يونس.

٤- موافقة ابن مالك ليونس في أن (لكن) ليست من حروف العطف وهي عنده حرف استدراك فإن وليها مفرد معطوف فعطفه بواو قبلها نحو: " ما قام سعد ولكن سعيد".

٥- بين يونس بن حبيب أن من أسقط تنوين العلم المنعوت بكلمة (ابن) لوقوعها بين علمين جازت له حكاية هذا العلم نحو: "مَنْ زيد بن عمرو؟ في جواب: رأيت زيد بن عمرو"(٢).

٦- أن تصغير "ثلاثين" ونحوه علمًا ثُلَيْثُون بحذف المدة الثالثة؛ لأنه في حال العلمية تكون الزيادة جزء من العلم(٣).

٧- أن الألف المنقلبة عن أصل وهي خامسة تحذف عند النسب إلى كلمتها كما تحذف التي هي للتأنيث للفرق بينهما لطول الكلمة وكثرة حروفها فيقال في النسب إلى مُرامىً: مُراميّ كما يقال في النسب إلى حبارى حباريّ(٤).

---

(١) البحث ص١٣.
(٢) البحث ص٢٣.
(٣) البحث ص٢٩.
(٤) البحث ص٣٣.

٨- أن "لبيك" ونحوه اسم مفرد غير مثنى عند يونس قلبت ألفه ياء في الإضافة إلى الضمير كما تقلب ألف (على)، بينما يرى الخليل أنه من المصادر المثناة غير المنصرفة وقد رد سيبويه قول يونس وقبل رأي الخليل وقواه بما سمعه عن العرب(١).

٩- أجاز يونس في الوقف على نون التوكيد الخفيفة المضموم ما قبلها والمكسور ما قبلها أن يبدلها ياء بعد الكسرة نحو: "اخشيي" وواوا بعد الضمة نحو: "اخشوُوا" وقد رد الخليل قول يونس(٢).

١٠- أن الحرف الزائد في التضعيف عند يونس هو الثاني وعند الخليل هو الأول وكلا المذهبين صواب عند سيبويه.

١١- أن النسب إلى "أخت وبنت" ونحوه عند يونس "أُخْتيّ وبنتيّ" محتجًا بأن التاء بدل من اللام وليست للتأنيث لأن قبلها ساكن صحيح ويوقف عليها بالتاء ففيها رائحة التأنيث. وعند الخليل " أخويّ وبنويّ بحذف التاء منهما كحذفها في النسب إلى فاطمة وتبعه سيبويه وهذا هو القياس عندهما(٣).

١٢- يرى يونس أن تصغير "قبائل" إذا سمى به "قُبيّل" بحذف الهمزة وبقاء الألف ثم قلبها لياء التصغير وحذف الهمزة عنده لزيادتها وقربها من الطرف الذي هو محل التغيير. وعند الخليل: قبيئل أو قبيئيل بحذف ألفه لضعفها(٤).

١٣- أن تصغير "سفرجل وفرزدق ونحوهما عند يونس "سفيرج وفريزد"أو "سفيريج وفريزيد". وقال الخليل: لو كنت محقرًا هذه الأسماء لقلت: سُفَيْر

---

(١) البحث ص٣٨.
(٢) البحث ص٣٩.
(٣) البحث ص ٤٢.
(٤) البحث ص٤٣.

جُلٌ حتى يصير بزنة دنينير، وقد ارتضى سيبويه رأي يونس وظهر هذا الرأي وانتشر في كتب النحو(١).

١٤- أن وحده من قولهم: "مررت به وحده" منصوب عند يونس نصب الظرف وعند الخليل أنه ينصبه نصب المصدر واختاره سيبويه(٢).

١٥- أجاز يونس الجمع بين الساكنين في قراءة أهل المدينة: ﴿قُل إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايْ﴾ بإسكان الياء لأن ألف المد قبل الساكن تقوم مقام الحركة ومنع النحويون ذلك لأنه جمع بين ساكنيين وليس في الثاني إدغام.

١٦- اتفق يونس مع معاصره الخليل بن أحمد على أن النكرة لا يجوز أن تندب فلا يقال: وارجلاه ويا رجلاه وأنه قبيح

١٧- واتفق مع الخليل أيضًا في إعراب الضمير بعد لولا فلا ينكر كل منهما أن يكون للحرف عمل في حال لا يكون له في حال أخرى.

١٨- تبين أن الكوفيين قد اتبعوا يونس بن حبيب في آراء كثيرة منها(٣):

- جواز أن تلقى علامة الندبة مع الصفة نحو قولك: وازيد الظريفاه بينما ذهب الخليل إلى أن هذا خطأ.
- جواز إدخال نون التوكيد الخفيفة على فعل الاثنين وجماعة النسوة وأيده كذلك ابن جني.
- وتبعوه في عدم ضرورة إعادة الخافض في العطف على الضمير المجرور.
- تبعوه في أن (أيّ) في نحو: " لأضربن أيُّهم أفضل" معرب ولكنه عنده مرفوع بالابتداء وأفضل خبره والفعل معلق عن العمل. أما الكوفيون فهو عندهم مفعول به منصوب وعند سيبويه مبني على الضم.

---

(١) البحث ص٤٥.
(٢) البحث ص٥٨.
(٣) البحث ص٧٩، ٨٠.

- تبعوه في مجيء الحال معرفة بالألف نحو: "مررت به المسكين" على معنى: "مررت به مسكينًا" حيث وجه الفراء القراءات في قوله تعالى: ﴿لَيُخۡرِجَنَّ ٱلۡأَعَزُّ مِنۡهَا ٱلۡأَذَلَّۚ﴾ على معنى ذليلاً فنصبه على الحال وهو معرف بأل(١).
- تبعوه في مجيء (الذي) مصدرًا كما في قوله تعالى: ﴿وَخُضۡتُمۡ كَٱلَّذِي خَاضُوٓاْۚ﴾.
- كما تبعوه في أن (وحده) منصوب على الظرف بمنزلة عنده.

١٩- لا يمنع تأثر الكوفيين بيونس بن حبيب وتأثيره فيهم أن يخالفوه في بعض أقواله مما يدل على أنهم قد أخذوا آراءه وناقشوها واهتموا بها واختاروا منها وردوا بعضها(٢).

وهذه النتائج قليل من كثير مما تضمنته أقوال يونس بن حبيب وبذلك يصدق فيه القول: بأنه إمام نحاة البصرة في عصره ومرجع الأدباء والنحويين في المشكلات(٣).

وكل ما أتمناه أن يقبل الباحثون على الآثار العلمية التي خلفها هذا العالم الجليل حتى نتعرف على المزيد من جهوده في مجال اللغة والأدب والنقد، وأن يبحثوا في جوانب شخصيته، فشخصية يونس بن حبيب تحتاج إلى عناية من الباحثين في شتى علوم العربية ليستفيدوا من عطائه ولينل حظه من الشهرة والاهتمام ولوضعه في المكانة التي يستحقها بين العلماء.

وأرجو بذلك أن يكون الله سبحانه وتعالى قد وفقني لإخراج هذا العمل المتواضع وأن يغفر الله لي ما وقع فيه من خطأ أو تقصير. فسبحان من له الكمال.

"وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين".

الباحثة

---

(١) البحث ص٦٧.
(٢) البحث ص٨٢، ٨٣.
(٣) معجم الأدباء: ٢٠/٦٤.

فهرس المراجع

(١) أبو زكريا الفراء د/ أحمد مكي الأنصاري طبعة القاهرة ١٩٦٤م.
(٢) اتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربع عشر للدمياطي ط. دار الندوة الجديدة – بيروت.
(٣) أسرار العربية للأنباري تحقيق د/ محمد بهجت البيطار.
(٤) الإسراف في منازل الأشراف لابن أبي الدنيا.
(٥) الأشباه والنظائر للسيوطي ط. دار الكتب العلمية.
(٦) الاشتقاق لابن دريد تحقيق د/ عبد السلام هارون ط. القاهرة ١٩٥٨.
(٧) إصلاح المنطق لابن السكيت.
(٨) إعراب القرآن المنسوب للزجاج تحقيق د/ إبراهيم الإبياري القاهرة ١٩٦٣م.
(٩) إعراب القرآن للنحاس ت.د/ زهير غازي زاهر ط ٣ ، ١٤١٩هـ – ١٩٨٨م – عالم الكتب – مكتبة النهضة العربية.
(١٠) الاقتراح في أصول النحو للسيوطي حيدر آباد ١٣٥٩هـ ط.٢.
(١١) الأمالي الشجرية لابن الشجري حيدر آباد ط.١ ، ١٣٤٩هـ.
(١٢) إنباه الرواة على أنباء النحاة لجمال الدين القفطي ت/ محمد أبو الفضل إبراهيم ط/ دار الكتب – ١٣٧٤هـ – ١٩٥٥م.
(١٣) الإنصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين للأنباري ت ا/محمد محي الدين عبد الحميد.
(١٤) أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك لابن هشام الأنصاري ومعه عدة السالك إلى تحقيق أوضح المسالك للأستاذ محمد محي الدين عبد الحميد طبعة المكتبة العصرية – صيدا – بيروت.
(١٥) البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي ط. دار الفكر– بيروت– الطبعة الثانية.
(١٦) البرهان في علوم القرآن للزركشي ت/ محمد أبو الفضل إبراهيم ط. دار الجيل – بيروت.
(١٧) البغال للجاحظ موقع النيل والفرات.

(١٨) بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة للسيوطي ت/ محمد أبو الفضل إبراهيم ط. المكتبة العصرية – صيدا – بيروت ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤م.
(١٩) البيان والتبيين للجاحظ تحقيق أ/ عبد السلام هارون طبعة دار الجيل – بيروت.
(٢٠) تاريخ الأدب العربي لكارل بروكلمان : تعريب د/ عبد الحليم النجار ط. دار المعارف بمصر.
(٢١) تحفة الأبية للفيروز آبادي. موقع ملتقى أهل الحديث.
(٢٢) التذكرة في القراءات لابن غلبون ت أ/ عبد الفتاح بحيري ط٢.
(٢٣) التقارض النحوي ومظاهره في الأساليب العربية د. سلوى عبد الفتاح حسن.
(٢٤) تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني – مطبعة مجلس دائرة المعارف في الهندسة ١٣٢٥هـ.
(٢٥) ثلاث من مسائل الكتاب أ.د/ أبو المجد عمارة.
(٢٦) جمهرة اللغة لابن دريد. تحقيق أ/ رمزي منير بعلبكي– موقع المكتبة الشاملة.
(٢٧) الجنى الداني في حروف المعاني للمرادي ت د/ محي الدين قباوة والأستاذ/ محمد نديم فاضل – دار الآفاق الجديدة – بيروت ط٢.
(٢٨) حاشية الصبان على الأشموني ط. دار إحياء الكتب العربية.
(٢٩) الحيوان للجاحظ ت أ/ عبد السلام هارون – الحلبي.
(٣٠) خزانة الأدب للبغدادي ت. أ/ عبد السلام هارون مطبعة الحلبي.
(٣١) الخصائص لابن جني تحقيق د/ محمد علي النجار طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب الطبعة الثالثة.
(٣٢) الخليل بن أحمد د/ مهدي المخزومي.
(٣٣) ديوان امرئ القيس – دار صادر – بيروت.
(٣٤) ديوان رؤبة.

(٣٥) ذيل الأمالي والنوادر لأبي علي إسماعيل بن القاسم القالي – موقع المكتبة الشاملة.
(٣٦) الرماني النحوي د/ مازن المبارك.
(٣٧) سيبويه إمام النحاة د/ علي النجدي ناصف.
(٣٨) شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد المكتب التجاري – بيروت.
(٣٩) شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك تحقيق أ/ محمد محي الدين عبد الحميد.
(٤٠) شرح التسهيل لابن مالك تحقيق د/ عبد الرحمن السيد، د/ محمد بدوي المختون الطبعة الأولى، دار هجر للطباعة والنشر سنة ١٤١٠هـ – ١٩٩٠م.
(٤١) شرح التصريح على التوضيح على الفية ابن مالك للشيخ خالد الأزهري الطبعة الثالثة – المطبعة الأزهرية بمصر ١٣٤٤– ١٩٢٥م.
(٤٢) شرح جمل الزجاجي لابن عصفور المسمى الشرح الكبير ت د/ صاحب أبو جناح.
(٤٣) شرح ديوان لبيد ت د/ إحسان عباس.
(٤٤) شرح القصائد السبع الطوال لابن الأنباري ت أ/ عبد السلام هارون ط. دار المعارف ١٩٦٣م.
(٤٥) شرح كافية ابن الحاجب للرضي طبعة دار الكتب العلمية.
(٤٦) شرح كتاب سيبويه للسيرافي. موقع أم القرى.
(٤٧) شرح المعلقات السبع للزوزني طبعة مكتبة محمد علي صبيح سنة ١٣٨٨هـ – ١٩٦٨م.
(٤٨) شرح المفصل لابن يعيش طبعة عالم الكتب.
(٤٩) الصحاح للجوهري. تحقيق أ/أحمد عبد الغفور– موقع المكتبة الشاملة – الطبعة الرابعة.
(٥٠) طبقات ابن المعتز. تحقيق أ/ عبد الستار أحمد فرج – موقع المكتبة الشاملة.

(٥١) طبقات فحول الشعراء لابن سلام الجمحي ت أ/ محمد محمود شاكر مطبعة المدني – القاهرة.
(٥٢) طبقات المفسرين لمحمد بن علي بن محمد بن أحمد الداوودي ت. أ/ علي محمد عمر الطبعة الأولى– مطبعة الاستقلال الكبرى– مصر.
(٥٣) طبقات النحويين واللغويين لأبي بكر الزبيدي ت محمد أبو الفضل إبراهيم ط٢ – دار المعارف.
(٥٤) عدة السالك إلى تحقيق أوضح المسالك أ/ محمد محي الدين عبد الحميد.
(٥٥) العقد الفريد لابن عبد ربه – موقع الحكواتي.
(٥٦) عيون الأخبار لابن قتيبة الدينوري موقع Islamic book.
(٥٧) غاية النهاية في طبقات القرآن لابن الجذري – القاهرة ط. السعادة – نشر براجيستراسر.
(٥٨) الفهرست لابن النديم مطبعة الاستقامة القاهرة.
(٥٩) من أصول النحو أ/ سعيد الأفغاني.
(٦٠) الكامل في الأدب للمبرد ت د/ زكي مبارك، مطبعة الحلبي طبعة الأولى سنة ١٩٣٧م.
(٦١) الكتاب لسيبويه ت أ/ عبد السلام هارون – الجزء الأول الطبعة الثالثة سنة ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م– مكتبة الخانجي بالقاهرة – الجزء الثاني طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٧٩م.الجزء الثالث: مكتبة الخانجي – الجزء الرابع والخامس الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ مكتبة الخانجي الناشر دار الرفاعي بالرياض.
(٦٢) الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها لابي محمد مكي ابن أبي طالب ت أ/ محي الدين رمضان طبعة ٢ – مؤسسة الرسالة ١٤٠١– ١٩٨١م.
(٦٣) لسان العرب لابن منظور طبعة دار المعارف تحقيق الأساتذة : عبد الله علي الكبير – محمد أحمد حسب الله – هاشم محمد الشاذلي.

(٦٤) مجاز القرآن لأبي عبيدة تحقيق د/ محمد فؤاد سزكين طبعة ٢ – ١٤٠١هـ – ١٩٨١م مؤسسة الرسالة.
(٦٥) مجالس ثعلب لأبي العباس أحمد بن يحيى ثعلب تحقيق أ/ عبد السلام هارون – دار المعارف.
(٦٦) المخصص لابن سيده طبعة دار الكتاب الإسلامي – القاهرة – ذخائر التراث العربي.
(٦٧) المدارس النحوية للأستاذ/ شوقي ضيف، الطبعة الخامسة دار المعارف.
(٦٨) مراتب النحويين واللغويين لأبي الطيب اللغوي ت.أ/ أبو الفضل إبراهيم طبعة القاهرة.
(٦٩) المزهر في علوم اللغة وأنواعها للسيوطي طبعة دار إحياء الكتب العربية – عيسى الحلبي وطبعة دار الجيل – بيروت – تحقيق الأستاذ/ محمد أحمد جاد المولى والأستاذ/ علي محمد البجاوي.
(٧٠) المسائل المشكلة المعروفة بالبغداديات للفارسي ت د/ صلاح الدين عبد الله السنكاوي طبعة وزارة الأوقاف والشئون الدينية – إحياء التراث الإسلامي – بغداد.
(٧١) المصباح المنير للفيومي طبعة مكتبة الإيمان – بالمنصورة.
(٧٢) معاني القرآن للأخفش سعيد بن مسعدة ت د/ عبد الأمير محمود أمين الورد طبعة عالم الكتب ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م.
(٧٣) معاني القرآن للفراء. تحقيق أ/ محمد علي النجار طبعة الدار المصرية للتأليف والترجمة.
(٧٤) معاني القرآن وإعرابه للزجاج ت د/ عبد الجليل شلبي الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م – عالم الكتب.
(٧٥) معجم الأدباء لياقوت الحموي – مطبعة دار المأمون.
(٧٦) معجم البلدان لياقوت الحموي – مطبعة السعادة بمصر ١٩٠٦م.

(٧٧) مغني اللبيب عن كتب الأعاريب لابن هشام الأنصاري تحقيق الأساتذة: مازن المبارك – محمد علي حمد الله – سعيد الأفغاني – طبعة دار الفكر.
(٧٨) مقاييس اللغة لابن فارس تحقيق أ/ عبد السلام هارون طبعة القاهرة ١٣٦٦هـ.
(٧٩) المقتضب للمبرد تحقيق الأستاذ/ محمد عبد الخالق عضيمة طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب.
(٨٠) الممتع في التصريف لابن عصفور الإشبيلي تحقيق الأستاذ/ فخر الدين قباوة طبعة دار المعرفة.
(٨١) المنصف لابن جني لكتاب التصريف للمازني تحقيق الأستاذ/ إبراهيم مصطفى والأستاذ عبدا لله أمين طبعة وزارة المعارف العمومية سنة ١٩٦٠.
(٨٢) منهج السالك إلى الفية ابن مالك للأشموني تحقيق أ/ محمد محي الدين عبد الحميد – القاهرة ١٣٧٥هـ – ١٩٥٥م.
(٨٣) موازنة نحوية بين كتاب معاني القرآن وإعرابه للزجاج وإعراب القرآن للنحاس من أول سورة مريم إلى أخر سورة الناس – رسالة دكتوراه – للباحثة سلوى عبد الفتاح حسن– مكتبة كلية الدراسات الإسلامية للبنات بالقاهرة.
(٨٤) موقع الألوكة المجلس العلمي إشراف د/ سعيد عبد الله الحميد، د. خالد الحدسي.
(٨٥) موقع المكتبة الإسلامية الشاملة.
(٨٦) موقع الموسوعة الشاملة.
(٨٧) موقف من يونس بن حبيب د. محمود حسني محمود. الجامعة الأردنية– موقع مجمع اللغة الأردني.
(٨٨) نخبة عقد الأجياد في الصافنات الجياد لمحمد عبد القادر الجزائري – موقع منتدى Islamic book.

(٨٩) نزهة الألباء في طبقات الأدباء للأنباري تحقيق د/ إبراهيم السامرائي – طبعة٢ بغداد، وطبعة مصر ١٩٢٤م.
(٩٠) نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة للشيخ محمود محمد الطنطاوي الطبعة الرابعة ١٩٥٤م.
(٩١) النكت في تفسير كتاب سيبويه للأعلم الشنتمري تحقيق د/ زهير عبد المحسن سلطان طبعة الكويت.
(٩٢) همع الهوامع في شرح جمع الجوامع للسيوطي الطبعة الأولى مكتبة الكليات الأزهرية ١٣٢٧هـ، وطبعة الكويت ١٣٩٤هـ – ١٩٧٥م تحقيق د. عبد العال سالم مكرم.
(٩٣) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لابن خلكان تحقيق د/ إحسان عباس دار صادر – بيروت.
(٩٤) يونس البصري: حياته وآثاره ومذاهبه د. أحمد مكي الأنصاري طبعة ١٣٩٣هـ – ١٩٧٣م.
(٩٥) يونس بن حبيب د. حسين نصار – سلسلة أعلام العرب (٧٥) طبعة وزارة الثقافة – دار الكتاب العربي ١٩٦٨م.

فهرس الموضوعات

الموضوع	رقم الصفحة
المقدمة	
الفصل الأول: حياة يونس بن حبيب	
اسمه وكنيته ولقبه	
مولده	
وفاته	
مذهبه النحوي وأخلاقه	
شيوخه ومذهبه في الأخذ عنهم	
تلاميذه	
ثقافته	
مؤلفاته.	
الفصل الثاني:جهود يونس النحوية والصرفية. وفيه النقاط التالية:	
أولاً: دور الكتاب في إظهار جهود يونس النحوية والصرفية.	
ثانيًا: يونس والخليل.	
ثالثًا: آراؤه في تفسير القرآن الكريم وقراءاته.	
رابعًا: آراؤه في اللغة.	
الفصل الثالث: أثر يونس بن حبيب في المدرسة الكوفية وشيوخها.	
الخاتمة.	
النتائج التي حققها هذا البحث	
فهرس المراجع	
فهرس الموضوعات.	